المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع بعد المئة

١٠ دسمبر سنة ١٩٤٦ — ١٦ محرم سنة ١٣٦٦

التعاليم اللاهوتية

في أصل الحيوان والانسان

في إحدى نوافذ كاتدرائية مدينة « أولم » نقش على الزجاج يرجع تاريخه إلى القرون الوسطى ، يمثل فيه الواحد القهار منهمكاً في خلق الحيوانات ، وفي تلك الفترة بالذات خرج من بين يدي العناية القدسية « فيل » كامل الأوصاف ، وهو مثقل بالدروع وعليه سرج وغطاء ، كأنه على أتم الأهبة للقتال .

ولقد وردت أمثال من هذه التصورات في مخطوطات علمية ، وفي الكتب المطبوعة القديمة ، وتجمعت كل هذه التصورات والآراء في نواة واحدة ، ظهر فيها العزيز القدير مجداً في تصوير أول إنسان من « صلصال كالفخار » منتزعاً من جنبه ، بكل مشقة وقوة ، أول امرأة ظهرت في الوجود .

***

على أن هذه النظرة العامة في أسلوب الخلق قد انحدرت إلينا من خلال الأزمان القديمة ، حيث كانت قد ظهرت لابسة صوراً شتى من آراء كونية عتيقة مختلفة الصور والألوان . فأنت ترى حتى اليوم في المعابد المصرية القديمة بجزيرة « فيلة » و « دندرة » أمثالاً تريك كيف يجبل آلهة النيل كتلاً من الصلصال فتخرج من بين أيديهم رجالاً ، وكذلك تقع في الألواح الأشورية على مثل هذا العمل منسوباً إلى آلهة بابل حتى إذا انحدرت بك السنون إلى

عصرنا هذا ، وقلبت كتبنا المقدسة ، ألفيت أن هذه الآراء والتصورات بعينها ، قد اتخذت قاعدة لتطور جديد أسبغت ذيوله على اللاهوت الحديث .

***

مضى آباء الكنيسة قانعين بأن يعكفوا على النص الحرفي الذي صيغت فيه أسطورتا الخلق المتناقضتين في سفر التكوين ، وبعد أن أفرغوا جعبة الجهد والبحث في سبيل التوفيق بين تينك الروايتين ، وأدمجوهما لتكونا شيئاً واحداً ، رضوا بأن يعتبروها آخر محك للرأي ومجس للفكر في أصل الكون وكل ما فيه .

***

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وضع « لاكتانتيوس » أول قاعدة لتلك الطريقة التي لم يقصد بها من شيء إلاّ إخضاع كل الأشياء الأخرى التي اتخذت وسيلة لدرس الخلق ومنشئه للمتن الحرفي الذي جاء في الكتب المقدسة ، وأيّد فكرته في خلق الإنسان بإشارة لغوية قائلاً بأن آخر مخلوق خلق هو « الإنسان » لأنه صنع من الأرض Homo ex humo

وفي النصف الثاني من القرن الرابع بذاته أيّد القديس أمبروز : St. Ambrose أسلوب النص الحرفي الذي جاء في المتون المقدسة خاصّاً بالخلق ، وهو ذلك الرجل الذي أعلن في كتابه الذي بحث فيه أصل الخلق — « إن موسى قد فغر فاه وصبّ منه كل ما قال الله له » . ولكن رجلاً أعظم من هذين قد استطاع أن يربط هذه الفكرة باللاّهوت النصراني وأن يوثّق لها منه . فإن القديس « أوغسطين » في كتابه « تعليقات على سفر التكوين » قد وضع في جملة واحدة قانوناً جامعاً ظلّ للكنيسة دستوراً حتى عصرنا هذا ، إذ قال :

« لن نقبل منه شيء إلاّ إذا أيدته الكتب المقدسة بسلطانها ، لأن هذا السلطان أعظم من كل القوات التي يختص بها العقل الانساني » . . . . على أن قوة السبك التي تأنسها في الجمل الأصلية ، قد جعلت اصداءها ترن خلال القرون المتعاقبة [1] .

وعلى الرغم من ذلك الانقلاب الكبير الذي أثاره القديس « أوغسطين » نفسه ، وتابعه فيه سلسلة من أعظم رجال الكنيسة محاولين أن يحوروا في الآراء التي سادت في أصل

[1] Major est Scripturde anctoritas quam omnis humaini ingenii capucitas.

الكون ، فان قولة « أوغسطين » قد ظلت مغشية على عقول الناس أشد الغشاوة طوال القرون الوسطى .

أمّا « ڤنسنت بوڤييه » الدومينيكي ، ومن أكبر الانسيكلوبيديين ، فعلى الرغم من أنه مضى في كتابه « مرآة الطبيعة » يخرّج آراء استمدها من ارسطوطاليس ، بآراء أخذها من الانجيل ، فانه وقف يؤيد أولى الروايتين اللتين وردتا في سفر التكوين ، وأظهر الفضائل العظمى التي يختص بها الرقم « ستة » ، ليتخذ ذلك سبيلاً الى القول بأن هذا هو السبب في أن كل الأشياء قد خلقت في ستة أيام .

***

وفي أواخر العصور الوسطى قبل العلامة الثبت الكردينال « دايلي » كل شيء جاء في الكتب المقدسة خاصًّا بالخلق قبولاً حرفيًّا بلا تبديل أو تحوير . وانك لا تقع في خلال كل هذه العصور المتطاولة على نزعة الى انكار شيء من هذا ، اللهمّ إلاّ فيما كتب ثقة آخر من الثقاة هو « غريغوري ريش » : « Gregory Reisch » ، فقد ذكر في كتابه الذي خصه بالكلام في بدايات الأشياء ، بعد أن وضع فيه صورة من الحفر على الخشب مثلث الواحد القهار ينتزع حوّاء من جنب آدم ، كما مثلت كل الطبيعة المخلوقة في ظهرية اللوحة ، مايظهره بمظهر القانع بفكرة القديس « أوغسطين » من الاعتقاد بوجود مادة سبقت بالوجود الخلق في الزمان .

وفي عصر الاصلاح الديني ولج « لوثر » بسلطانه العظيم ذلك الميدان مؤيداً فكرة قبول النصوص الحرفية التي جاءت في الكتب المقدسة ، واعتبارها النبع الأوحد لكل العلوم الطبيعية . ولقد رفض كل التفسيرات المجازية أو التصوفية التي قال بها متقدمو اللاهوتيين قائلاً :

« لماذا يلجأ موسى إلى المجاز بينما هو يتكلم في مخلوقات حقيقية أو عالم منظور يمكن أن يرى وأن يلمس وان يدرك ؟ ان موسى إنما دعى الأشياء بأسمائها الحقيقية ، كما يجب علينا أن نفعل . وإني أعتقد ان الحيوانات قد وجدت دفعة واحدة في عالم الله ، كما وجدت الأسماك في جوف البحار » .

ولم يكن تشبث « كالفن » بفكرة النص الحرفي لرواية الخلق في سفر التكوين ، بأقل من تشبث « لوثر » . ولقد أنذر الذين يجرءون على الاعتقاد بوجهة من النظر تخالف ما يذهب اليه ، بأنهم بذلك إنما ... « يسيئون الخالق ، وانهم يكونون على نظيرة من قاض عادل ينسفهم نسفاً » .

ولقد مضى معتقداً بأن كل أنواع الحيوان قد خلقت في ستة أيام كل منها ليل ونهار ، وانه لم يظهر منذ ذلك العهد أي نوع جديد على اطلاق القول . وقال بأن الطيور قد استحدثت في الماء ، ذاكراً أن هذا القول تجيزه بعض نصوص من الكتب المقدسة . ولكنه يضيف الى ذلك :

« انه اذا كان لا بد من أن يجاب على هذا السؤال من ناحية القواعد الفوسيقية ، فأنت تعرف أن الماء أكثر قرباً للهواء منه للأرض » (١)

وعلل بعض الصعاب التي واجهته في لزومه لظاهر رواية الخلق كما وضعت في الكتب المقدسة بقوله ان الله : « رغب بتلك الصعوبات أن يبرهن لنا على قوته وسلطانه ، فأفرغ علينا الدهشة والعجب » .

***

ولقد تشبثت بهذه الفكرة كل العقول الفذة في الكنيسة الرومانية . وفي القرن السابع عشر أسبغ « بوسيه » Bossuet عليها من ضياء عقله الكبير أنواراً كستها أبهى الحلل . ففي كتابه « بحوث في التاريخ العام » ، ذلك الكتاب الذي ظل القاعدة الأساسية ، لا لتعاليم اللاهوت وحدها ، بل لكل التعاليم التاريخية في فرنسا حتى عصر الجمهورية الأخيرة (الثالثة) نجده وقد عمد الى تنبيه الأذهان الى ما يعتبره آخر ما نزل به الوحي من حقيقة الخلق ، مؤيداً القول الحرفي بأن الأرض لم تخلق الا للانسان — « وان يد الله هي التي تحفظ على المادة القابلة للفوضى نظامها المحكم المرسوم » .

(للبحث بقية)

---

(١) الغرض من ذلك أن الماء ما دام أقرب الى الهواء منه إلى الارض ، والطيور سكنها الهواء ، اذن فهي مخلوقة من الماء .

تحقيق ولادة النبي

صلى الله عليه وسلم[1]

بيان حشّاد الفلكي

﴿ مقدمة ﴾ — إختلف المؤرخون والمؤلفون في تصحيح ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأخطأوا خطأً ظاهراً. وأخطاؤهم هذه جعلت الناس لا يغتفرون لهم هذه الأخطاء.

لأن تاريخ ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر واضح كوضوح الشمس في رائعة النهار ولكن هؤلاء المؤلفون والمؤرخون لم يقتبسوا قبساً من نور فيستضيئون به في بحوثهم وتحقيقاتهم العلمية أو التاريخية. فلذلك ضلوا الطريق، فوقعوا في هذه الاخطاء فاللهمَّ عفوك

﴿ حجة الوداع ﴾ — ان أظهر يوم في حياة النبي هي حجة الوداع وقد كانت في السنة العاشرة بلا خلاف فيها وكان يوم عرفتها تاسع ذي الحجة يوم الجمعة (٦ من مارس سنة ٦٣٢ م)

وهذا لأن أول شهر ذي الحجة كان يوم الخميس بالحساب وبالرؤية ولا يوجد خلاف في ذلك وهو يوافق (٢٧ من فبراير سنة ٦٣٢ م).

هذا اجماع من كل الأمة وقد نصَّ على هذا النبي صلوات الله عليه وسلم في خطبته فقال ما معناه (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم) اي عاد التاريخ صحيحاً من دورات الأفلاك التي تقتبس منها مقاييس التاريخ والحساب، فالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قد وضع الأساس وعلمنا أن نبني عليه الحساب والتاريخ. وعلى هـذا النظام السالف الذكر كان أول السنة الحادية عشر من الهجرة يوم السبت (٢٨ من مارس سنة ٦٣٢م) بحكم الرؤية والحساب أيضاً لأن السنة العاشرة على اصطلاح أهل الحساب كبيسة فيكون شهر ذي الحجة ٣٠ يوماً ويدخل صفر الخير يوم الاثنين (٢٧ من ابريل سنة ٦٣٢م) وأول ربيع الأول يوم الثلاثاء وبالرؤية في أفق المدينة المنورة يوم الأربع (٢٧ من مايو سنة ٦٣٢ م) وأكملت عدة أيام صفر.

﴿ تاريخ وفاة النبي ﴾ — وجاء في الجزء الثالث من السيرة الحلبية حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة. وذلك في يوم الاثنين حين زاغت الشمس لإثنى عشر

(١) الصحيح في تاريخ ميلاده هو يوم ٩ ربيع الاول وليس يوم ١٢

ليلة خلت من ربيع الأول. هكذا ذكر بعضهم وقال السهيلي (لا يصح أن يكون وفاته يوم الاثنين الا" في ثالث عشرة أو الرابع عشرة لاجماع المسلمين.

فثالث عشرة الذي ذكره السهيلي هو في الحقيقة على الرؤية وأما رابع عشرة فهو بالحساب الاصطلاحي. مما تقدم تبين لنا أن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في يوم الاثنين ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ و ٨ يونيو سنة ٦٣٢ م) وهذا ثبت بالتحقيق ولا خلاف في ذلك

﴿ تاريخ الميلاد العربي ﴾ : ومما هو معروف واتفق عليه الأكثرون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عاش ثلاثاً وستين سنة قمرية تامة وأن مولده كان في شهر ربيع الأول في يوم الاثنين وكان ربيع الأول سنة المولد يوم الأحد فيكون مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول بالتحقيق وليس ١٢ لأن يوم ١٢ يوافق يوم خميس — ولكن المشهور كما ورد أن مولد النبي يوم الاثنين ويوم الاثنين هذا بالتحقيق هو ٩ من ربيع الأول.

﴿ عمر النبي بالأيام ﴾ : حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش ٦٣ سنة قمرية تامة فيكون مبدؤها من يوم ٩ من ربيع الأول سنة ٥٣ قبل الهجرة لغاية ٨ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية وتكون الأيام الزائدة عن ٦٣ سنة قمرية هي خمسة أيام وهي أيام ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ. فاذا حولنا عدد الـ ٦٣ سنة قمرية وهي مدة عمر النبي صلى الله عليه وسلم الى أيام بأن ضربنا عدد السنين البسيطة في ٣٥٤ يوماً وعدد السنين الكبيسة في ٣٥٥ يوماً وأضفنا الخمسة أيام الزائدة لكان الحاصل ٢٢٣٣١ يوماً وهى مدة عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأيام.

﴿ تاريخ الميلاد الأفرنجي ﴾ : مما تقدم تبين لنا أن مدة عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأيام ٢٢٣٣١ يوماً فهذا المقدار يوازي بالضبط ٦١ سنة شمسية و ٥٠ يوماً بالدقة والحساب فاذا تقهقرنا الى الوراء من يوم (٨ من يونيه سنة ٦٣٢ م) وهو تاريخ الوفاة بالتحقيق بمقدار ٦١ سنة شمسية و ٥٠ يوماً لكان اليوم الذي نصل إليه هو يوم (الاثنين ٢٠ من ابريل سنة ٥٧١ م) وهو تاريخ ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بغاية الدقة.

﴿ مرسوم ملكي ﴾ : لذلك نطلب من حكومتنا الرشيدة العمل على إصدار مرسوم ملكي بجعل الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة ٩ من ربيع الأول وليس ليلة ١٢ من ربيع الأول. وبهذا العمل الجليل تكون مصر وهي زعيمة العالم الاسلامي وحاملة فنار العلم ولواء الوحدة العربية، قد حققت أعظم وأجل درة في الشعائر الاسلامية في أزهى العصور وهو عصر الفاروق أطال الله في عمره وحقق للاسلام والمسلمين في عهده كل خير وفلاح.

عبد المقصود محمد الفلكي

تجربة جديدة

في ألياف الرامي

وصفت نبات الرامي في مقال ضافٍ نُشر في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٦ ثم قرأت نبذة عليه ، وذلك في أحدث ما ورد عليَّ من المجلات الانكليزية العلمية فآثرت نقلها الى قرائنا لكيلا تفوتهم فوائدها : —

الرامي نبات ليفيّ ، شرقي الأصل ، عجيب النفع ، وقد ورد ذكرهُ في الرسالة الزراعية الصينية الامبراطورية التي نشرت في بلاد الصين في سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد المسيحي . وسيجرب زرعه ثم تقشيره تجربة أخرى في مستنقعات اقليم فلوريدا . وذلك في بضعة الاشهر القادمة ، حيث تقوم شركتا سكر الولايات المتحدة الاميركية ، وصناعات نيوبورت في مدينة بنساكولا في فلوريدا بانشاء مصنع لتقشير الرامي الذي ينتج هناك من ألف فدان زرعت أولاً لهذا القصد . وستزاد هذه المساحة أخيراً الى ألفي فدان . وهاتيك الأطيان عدا خمسة آلاف فدان ابتاعتها شركة فلوريدا الخاصة بمنتجات الرامي ، وذلك من مستنقعات الاقليم السابق الذكر ، قصد زراعتها رامياً .

***

ولا غرو فان تيلة الرامي صالحة لنسج الثياب الجذابة المتينة ، وأثاثات البيوت ، والسيور المتينة التي تستعمل لادارة الآلات . هذا عدا منسوجاته التي تتشرب موادّ الصباغ تشرباً جيداً ولا تنكمش ولا تبلى إلاّ بعد زمن مديد . والرامي شعر نباتي مثل القنّب أو الكتّان أي انه ينتج من سيقان النبات لا من زهره ، على نقيض القطن . أما السيقان فتحتوي على جمّار أو نخاع أبيض ليّن . ويلي النخاع خشب رفيع هو حامل النبات . ثم قشره الداخلي وهو مملوء بالألياف المقرونة بمادة صمغية مستعصية وفوق هاتيك العناصر يوجد القشر الخارجي وهو رفيع جداً ، ملتصق بسائر الأجزاء التصاقاً محكماً .

ومن دأب أهل الصين عند حصد محصول الرامي من منابته تجريده من لحائه أي قشوره

الخارجية والداخليـة المحتوية على اليافه ثم يقومون بفصل اللحاء ، وما يصحبه من المادة الخضراء ، من هاتيك الألياف تقشيراً بالأيدي ، والمدى ، أو الأصداف الحادة .

وقد اخترعت آلات كثيرة لتقشير الرامي . وأجودها الى الآن ، ما أنتجته مصانع كروب في المانيا . وهي الآلات التي عينها التي استوردها اليابانيون من هناك إلى جزائر الفيلبين حيث استخدموها في أقليم داڤاو Davao في جزيرة منداناو وقد تمَّ لهم ذلك في أوائل سنة ١٩٣٠ وما بعدها ، فنجحت في تقشير القنَّب والرامي كليهما .

وبلغ محصول الرامي في الفيلبين في الأشهر الثمانية الأولى من سنة ١٩٣٩ ، مليونين ونصف مليون رطل ، فاستوردت بلاد بريطانيا العظمى ثلاثة أرباع تلك الـكمية واستوردت بلاد الولايات المتحدة الأمريكية سائرها .

* * *

ويعتقد بعض العلماء المتخصصين في دراسة الرامي أنه ما دام شعر الرامي يحسن نزعه عند ما يكون النبات غضّـاً ، فالأفضل لنزع قشوره استخدام الآلات الصغيرة المقشرة التي يتاح نقلها من مزرعة إلى أخرى . أجل أن الآلة الصغيرة إنما تستطيع تقشير كمية محدودة من الألياف ، قد لا تزيد على مائة رطل في اليوم . أما الشراح الزراعيون فيؤيدون الوسائل الاجمالية إذ يرون عكس ذلك ويؤثرون حصد الرامي بالآلات الحصّـادة العصرية ثم نقله جملة إلى مصانع التقشير . وحجتهم في ذلك أنه ما دام الفدان ينتج ثلاثين طنـّاً من نبات الرامي في السنة ، يستخرج منهـا طن واحد من شعره ، فلا بدَّ من إقامـة مصانع التقشير أقرب ما يمكن إلى المزارع ، بغية إقلال نفقات النقل الى أقل درجة لأن الحصّـادة الحديثة يمكنها حصد عشرين فداناً في اليوم من محصول الرامي لـكي يتسنّى نقل الحصيد على عجل الى مصنع فلوريدا . وعند ما يتم تقشير الرامي يكون شعره ثقيلاً مائلاً الى الاصفرار مشفوعاً بكمية كبيرة من الصمغ اللاصق به . فيغدو حينئذٍ أصلح ما يكون لصنع الدوبارة وحبال السفن وحبال قلوع السفن والرايات وشباك صيد السمك وحبال ربط قاطرات البواخر . أما شعر الرامي الذي تنسج منه المنسوجات فيطهر أولاً من صمغه .

عوض جندي

معجزة
في عالم الجراحة

للروس في مجال العلم مكان ملحوظ ، فقد كانوا في العهد القيصري كما هم في العصر الشيوعي من مقدمي الباحثين ذوي السبق في مجال الطب والهندسة والجراحة وعلم النفس .



قلب انسان ميت انتزع من جثته بعد أن مضى على موته أربعة أيام ، ثم أخذ ينبض ثانية عند ما هيء له ذلك الجهاز المعقد من الانابيب والصمامات وهو يغذى بسائل مركب تركيباً خاصاً ، وقد يمضي نابضاً اثنتي عشرة ساعة .وهنا دكتور « سرغي أندرييف » ينظر اليه بانتباه العالم المدقق في مستشفى بوتكين بموسكو

وفي الشتاء الماضي ، وفي مدينة غوركي ، استطاع العالم الروسي « نيقولاي سنتزف »

Nicolai Sinitzyn أن يقطع قلب ضفدع حيٍّ ويستبدل به آخر . وعاش الضفدع .

وبعد وقوع هذه التجربة بأشهر قلائل ، وفي موسكو ، أخذ العالم « سرغي اندرييف» Sergei Andreyev قلباً بشريًّا من جثة بعد أن وقع بها الموت بمئة ساعة ، واستطاع أن يجعل هذا القلب ينبض لنصف يوم . لقد أمضى الوظائفيون (الفزيولوجيون) : Physiologists سنين عديدة يحاولون إجراء تجارب على القلب ، وهو أول أعضاء الجسم الرئيسية . فاستطاعوا أن يحتفظوا بقلوب الكلاب نابضة بعد الموت ، كما أمكنهم أن يصلوا قلوباً اضافية الى قلوب الحيوانات من ذوات الحرارة الثابتة ومن ذوات الحرارة المتغيرة .



— هكذا تبدأ العملية الجراحية في ضفدع يطرح على ظهره فوق منضدة ويشد فكه الاسفل بمقبض ليتمكن دكتور سينتزن ان يجري تجربته من خلال فمه الواسع

واستطراداً نقول أن الحيوانات ذوات الحرارة الثابتة هي التي يسميها البعض خطأ « ذوات الدم الحار » Hæmatothermals = Warm-blooded. وذوات الحرارة المتغيرة هي التي يسميها البعض خطأ ذوات الدم البارد : Poikelothermals = Cold-blooded فكما استطاعوا أن يفعلوا ذلك بحيوانات يصلها بالإنسان صفة ثبات الحرارة ، وحيوانات أخرى كالأفاعي والضفادع وغيرها .

في عصرنا هذا تخطت هذه التجارب الحد الذي وقفت عنده من قبل . والتجارب التي قام بها سينتزن وإندرييف تجارب مستقلة بعضها عن بعض، ولكن قد يتضح فيما بعد أن بينها علاقات علمية تساعد المقدمين من الاخلاف على متابعة البحث .

على أن العالمان الروسيان لا يقولان بأن استبدال القلب بغيره ممكن في الانسان ، فإن الصعوبات التي تعترض استبدال القلب البشري بغيره مختلفة تمام الاختلاف عن تجارب

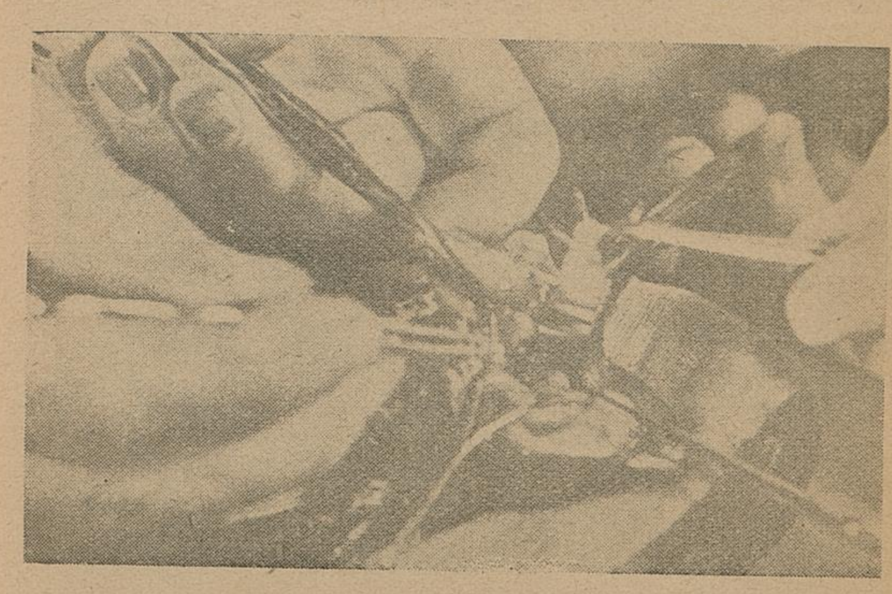


دكتور سينتزن ينتزع القلب من جوف الضفدع . والمعروف ان الحيوانات المتغيرة الحرارة أكثر احتمالا لصدمات العمليات القصيرة من غيرها

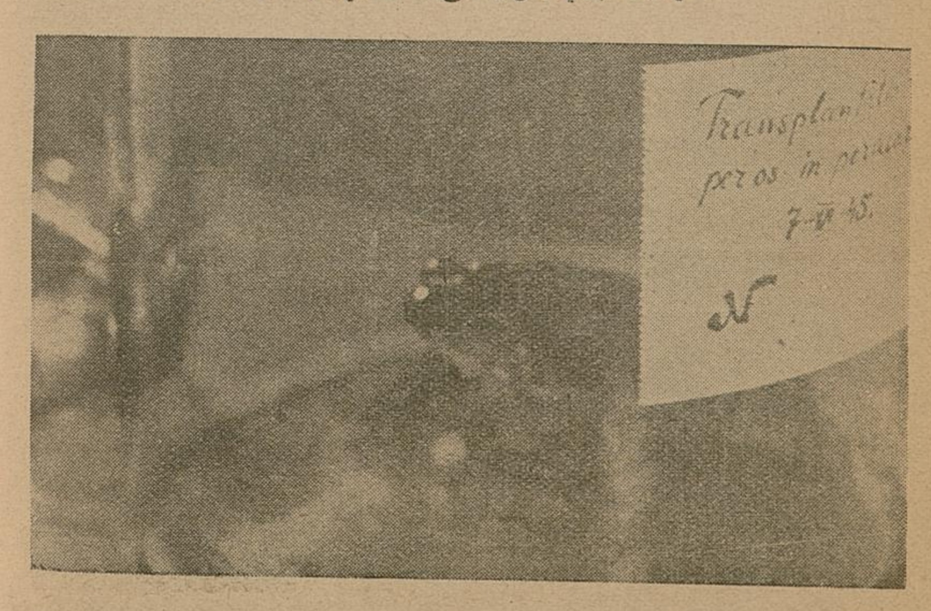


قلب ضفدع آخر يلتقطه سينتزن بمجرد أن يلقي بالقلب الذي انتزعه في الصحن الذي إلى يسار الصورة . وفي هذه الفترة القصيرة يظل جثمان الضفدع بغير قلب

سينتزن في الضفادع . ولكن قد يكون في هذه التجارب جرثومة أولية من فكرة أو أسلوب أو طريقة يمكن بها استبدال القلب إذا ضعف أو مرض بآخر قوي سليم .



قلب جديد يلج من طريق الفم الى حيث يثبته دكتور سينتزن بطريقة خاصة تمكنه من اتمام العملية بأكملها في زمن يتراوح بين عشرين وثلاثين ثانية



بعد دقيقتين من إجراء العملية التي لم تترك أي أثر ظاهر في الجسم ، يرى الضفدع مستويا في الاناء ، ثم يقفز قفزاته العادية ، والراجح أن يعيش عدة أشهر

الكيمياء عند العرب

وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي

حدثتكم في بحثي السابق عن جابر بن حيان ، وأخبرتكم أن أكثر أعماله قد ترجمت في القرون المتوسطة الى اللغة اللاتينية : ولقد قيل عن بعض أعماله أنها أحسنُ ما صنعت يدُ الانسان في الآداب الكيمياوية القديمة : ومن هذه الجامع الأعظم ، وكتاب الاستمام ، وكتاب التنانير . ولكن — ويا للأسف — لم تكتشف بعدُ هذه الكتب في اللغة العربية ، ولذا نرى بعض علماء الافرنج يشكون في نسبتها لجابر ، إلاّ أن البعض منهم متأكدٌ من أنها من أعماله رغماً عمّا غيّر فيها المترجمون والمؤلفون : ولكي نتحقق هذا القول يجب علينا أن نبحث بكل جد ونشاط عن هذه الأعمال في اللغة العربية . وإن هذا العمل لمن أكبر الأعمال في تاريخ الكيمياء ، فيجب علينا نحن العرب أن نحُلّ هذه المعضلة قبل أبناء الغرب لأن في مكاتبنا الألوف من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي لا يعرف عنها علماء الغرب شيئاً . فاذا بحثنا البحث الطويل فإننا سنجد اكتشافات هامة ، ولربما عثرنا على كتب جابر التي ذكرتها آنفاً : وبهذا العمل نقوم بخدمة كبيرة نحو تاريخ علم الكيمياء ، ونظهر للعالم فضلَ العرب ، ونساعد على تثبيت الشرف الذي استحقه جابر بن حيان على أعماله الكبيرة الكثيرة .

وبَعدَ جابر بن حيان تتجه أفكارنا نحو الطبيب الماهر والكيمياوي الكبير أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الذي توفي عام ٣٤١ للهجرة وجُلّ ما يُعرف عن هذا العظيم أنه كان معواناً ذكيّاً وكريماً سخيّاً فإنه أدّى الصدقات للفقراء ، وما كان يأخذ شيئاً مُقابلَ تطبيبه المرضى : وإن هذه الشهرة التي اشتهر بها قد جذبت إليه قلوب جميع طلاب المسلمين من أنحاء العالم : ولقد عرفوه طبيباً ماهراً كما عرفوه كيماويّاً كبيراً ، إلاّ أنه لم يهتمّ بالنظريات الكيمياوية وقد صرف جهده في تحضير وتطهير المواد الكيمياوية لأجل امتحانها

في الطب ، وكتب كتباً كثيرة في هذا الموضوع : وهي كتب قيمة جليلة ، مرتبة ترتيباً منطقياً تصف الأشياء جيداً . وكذلك طريقة تنسيقها جيدة جداً .

لقد أخرج بعد تعب كبير ، وعمل طويل أحدُ علماء الغرب مجلداً ضخماً فيه ترجمةُ وشروحُ أعمال الرازي الـكيمياوية وهو كتاب سر الأسرار فكان عمل هذا الاستاذ كبيراً جداً لأنه جعل الاوربيين يواصلون ويتتبعون تقدم الـكيمياء عند العرب : فالعرب مدينون لهذا الاستاذ على عمله المجيد وكذلك لن ينسى العرب الأستاذ قدرمان ولا المسيو برتللو ولا الأستاذ أشيلتن في الهند فهؤلاء الثلاثة خدموا العرب خدمات جمة ونشروا الـكثير من علومهم .

ولما توفي الرازي قام ابن سينا ، فيلسوف الاسلام ، وكان لا يعتقد في امكان تحويل المعادن ولم يتردد في التعبير عن آرائه بكل قواه ، وإن انتقاده هـذه النظرية التي كانت مقبولة أفاد كل الإفادة ، ومع أن أكثر الـكيمياويين لم يصدقوا ابن سينا فقد أخذوا يفكرون في موقفهم تجاهه واعتنوا أكثر من قبل وحاولوا أن يأتوا بالبراهين الجديدة ليُثبِتوا آراءهم ونظرياتهم ولذلك نقول إنه كان لانتقاد ابن سينا قيمة ، وساعد علماء العرب على الجد والعمل ، في هـذا الوقت تأصل علم الـكيمياء في الاندلس وظهور الرياضيون والفلـكيون والأطباء والفلاسفة والـكيمياويون الـكبار وتقدم العقل البشري وانتقال العلم الطبيعي من المسلمين الى المسيحيين لأن ألوفاً من المسيحيين من أقطار العـالم أمّوا الجامعات الإسلامية في الأندلس لِتَعَلُّم أحدث وأهم علوم ذلك العصر ، وبعد ذلك شرعوا ينقلون ما يتعلمونه الى اللغة اللاتينية التي كان يتكلم بها كلُّ رجل متعلم في أوروبا ، وما تمت هذه الترجمة حتى انتشرت في جهات العـالم الأربع . فمين الـكتب التي تُرجمت ، كانت كتب كثيرة في علم الـكيمياء : وأحدُ هـذه الـكتب كتابٌ في تركيب الـكيمياء كتبه مُريانوس استاذ خالد بن يزيد ولقد ترجمَ هذا الـكتاب المستر روبرت الانكليزي الذي ترجم القرآن الـكريم ، ونال شهرة كبيرة على ذلك . وترجمَ أيضاً كتاب الجبر للخوارزمي ، ولقد أتمَّ هـذه الترجمة في شهر فبراير عام ١١٤٤ للميلاد . ولقد قال أيضاً في مقدمته بأن الغربيين لا يعرفون ما معنى الـكيمياء وسأشرح ذلك وأبين أن العلم الطبيعي الذي كان الفضلُ

للعرب في تقدمه قد تمّ على يد انـكليزي .

كان المجريطيّ من أكبر علماء الطبيعة في الأندلس ، وقيل إنه توفي عام ١٠٠٧ للميلاد . وقد كان ماهراً في العلوم الرياضية كما أنه كان قديراً في علم الفلك وعلم الفرائض . وكثيرٌ من الناس يظنون أنه كتب كتاباً مشهوراً في علم الـكيمياء سماه « رتبة الحـكيم » وسواءٌ أكان هذا حقيقيًّا أم غير حقيقيّ فإنه من المصادق عليـه أن المجريطي تجوّل في الشرق وتعرّف باخوان الصفاء وأرجع معه الى الأندلس رسائلهم وأعاد نسخها ، مع أن البعض منها مغاير للأفـكار الاسلامية . ولضرورة الاطلاع على ما كتبه إخوان الصفاء في علم الـكيمياء كان عمل المجريطي كبيراً وساعد علمـاء العصر الحاضر كل المساعدة : نجد في هـذه الرسائل تأثيراً كبيراً لجابر والرازي ولا نجد ذكراً لاسميهما .

نأتي الآن إلى برهان الدين أبي الحسن علي الأندلسي المعروف بابن أرفع رأس والمتوفي عام ١١٩٧ للميلاد ، وله اشعار في الـكيمياء معروفة بشذور الذهب ، صعبٌ فهمها ، ويجد القارىء خلال هذه الاشعار ابتداء حادث عَظُمَ انتشاره بين الـكيمياويين الذين جاؤا بعده ألا وهو الخلط بين علم الـكيمياء والسحر والخرافات التي كان قد تخلص منها العلم في أول زمن الاسلام بفضل جابر بن حيان والرازي إلاّ أن أبا القاسم محمد بن احمد العراقي قد رجع إلى الطريق المستقيم وعاش عام ١٣٠٠ للميلاد وكتب كتباً قليلة في علم الـكيمياء أهمها « العلم المـكتسب في زراعة الذهب » والنسخ الخطية من هذا الـكتاب نادرة جدًّا : وهو يبحث عن إمكان تحويل المعادن . ويبتدىء المؤلف بالبحث عمّا إذا كان هـذا التحويل يتفق مع آراء فلاسفة اليونان بهذا الشأن ، ومع آراء من أتى بعدهم من مفكري وعلمـاء الاسلام ، إلى أن يصل إلى النتيجة بأن التحويل ممكنٌ فيشرع في البحث عن إبراز هـذه النظرية إلى حيز العمل ، ثم يختم كتـابه بأقوال من سبقه من العلماء ليـقويّ حُجّتَـه ويُثَبّـت نظريّتَـه .

لقد شرحَ الجلدقي كتاب المـكتسب في زراعة الذهب شرحاً وافياً في القرن الرابع عشر للميلاد وتوفي في القاهرة عام ١٣٦٠ للميلاد . فـكتب كتباً عديدة نقدر أن نقف منها على تاريخ حياة الرجال العظام ، ونقف على شيء من علم الـكيمياء في الاسلام وقد سمّى

كتابه هذا « نهاية الطلب في شرح المكتسب » جاء في ثلاثة أجزاء فآمل أن يطبع هذا الكتاب أحد علماء العرب ليطلع عليه علماء الكيمياء في الغرب لأنه كتاب قيم مفيد .

كثيراً ما يسأل السؤال الآتي : ماذا عمل علماء الكيمياء العرب لتقدم هذا العلم ؟ اذا سأل أوربي أو خلافه هذا السؤال ، فما على العربي إلاّ أن يجيبه بالجواب الآتي : —

١ — لقد أخذ العرب علم الكيمياء عن علماء اليونان والمصريين في الوقت الذي كاد يندرس فيه هذا العلم .

٢ — طهر العرب هذا العلم من الخرافات والحيل التي كادت أن تقضي عليه.

٣ – جعل العرب هذا العلم علماً طبيعيـًّا ثابتاً مثل علم الطب والفلك والرياضيات .

٤ — اكتشف العرب الحوامض المعدنية مثل ماء الحلال وروح الكبريت وروح الملح وقد وجدت هذه الحوامض بعدئذٍ من أنفع الأشياء ، في تقدم علم الكيمياء .

٥ — إن جابر بن حيان هو أول من نطق بنظرية أن جميع المعادن مركبة من الكبريت والزئبق : فهذه نظرية مثل جميع النظريات قد أهملت في بادىء الأمر لكنها وجدت بعدئذٍ بأنها من اكبر المحميات في المباحث الكيمياوية ومهدت الطرق للنظريات التي أتت بعدها .

٦ — إن العالم بأسره مدين للعرب في تصنيف وتطهير العقاقير وفي تحسين العمليات والآلات الكيمياوية وفي اكتشاف كثير من المواد وفي استعمال الكيمياء في الطب والصناعة وإن العالم بأسره ليعترف بفضل العرب الذين لولاهم لما كان لعلم الكيمياء التقدم الذي وصل إليه في وقتنا الحاضر .

٧ — إنّ أهل الغرب الحاليين لن ينسوا أبد الآبيد فضل العرب على أجدادهم الذين درسوا على العرب العلوم الطبيعية التي كانت أساس مدنيتهم الحاضرة .

إذا فكر العرب بأعمال أجدادهم الكرام أليس من الواجب عليهم أن يسعوا السعي الحثيث لإرجاع السيادة العربية في علم الكيمياء مرة أخرى ؟ نعم إن ذلك واجب على كل عربي ينطق بالضاد ما دام فيه عرق ينبض ودم يجري والله المعين .

شريف القناشي

شوبنهور والطبيعة

البشرية

﴿ أهميتان للعالم : ظاهرية وباطنية ﴾ يقول شوبنهور إن حقائق النظام المادّي، قد تحوز قيمة ظاهرية كبيرة، لا باطنية . لأن هذه من خصائص الحقائق الأدبية والفكرية التي من شأنها إبراز الارادة بأسمى أطوارها، بينما تختص الحقائق المادية باظهار الإرادة في أحقر أطوارها وأرذل أوضاعها. ويجد شوبنهور في مذاهب الفلاسفة العظام شواهد كثيرة على هذه القيمة الباطنة، كما أنه يلاحظها في كل مأساة بشرية تمثل أدوارها على مسرح الحياة، وأيضاً في سلوك الناس، سبيلي الخير والشر . فيقول إنها شواهد صادقة على هذه الحقيقة المعنوية الخالدة المتخذة لها من العالم الظاهر صورة خارجية . حقيقة تعلن عن طبيعتها العميقة بأسمى أطوارها المحسوسة . وإن الزعم بأن للعالم قيمة مادّية لا أدبية أو معنوية، قائم على نظرة خاطئة في الأساس، وعلى التواء في العقل والطبع . ومع هذا فانها نظرة قوية الشكيمة . متمكنة من النفوس، وتستطيع أن ترفع رأسها بين آن وآخر حتى يجبرها السخط الكوني العميق الشامل على إخفاء ذاتها، فتختفي لحين ثم ما تلبث أن تعاود الظهور كرَّةً أخرى، وسيتناول شوبنهور في الحديث التالي هذه الفكرة بالشرح والتعليل والتمثيل محاولاً تبيان الأساس الصحيح الثابت للأخلاق في كل مكان أو زمان، وبسط النتائج التي تنجم عن اتّصاف الانسان بهذه الأخلاق.

﴿ ردٌّ على كانت (Kant) ﴾ يتساءل شوبنهور عمّا يدعو كبار الأساتذة الجامعيين الى الأخذ والتسليم برأي «كانت» في أن شعور الانسان وإيمانه بخطورة قدره وكرامة نفسه، يستند إلى حقيقة غريزية أصيلة في الإنسان . فلو سألتهم على مَ تقوم هذه الكرامة والخطورة والعظمة لأجابوا « على أخلاقه » أي أن أخلاق الإنسان تعتمد على كرامته الشخصية وخطورة قدره وعظمة ذاته، كما تعتمد كرامته وخطورته وعظمته على أخلاقه . ومع ما يبدو

لنا في هذا المنطق من خلل ومغالطة وسفسطة ، فإن من السخف عَزْوَ الكرامة وخطورة الشأن إلى كائن كالإنسان ، إرادته أثيمة وعقله محدود وجسمه قابل للفناء . إذ كيف يجوّز الانسان لنفسه الفخر بكرامة أو عظمة ، ما دام إدراكه ينطوي على سوء وكانت ولادته قصاصاً أليماً ، وحياته نصباً وشقاء ، وفناؤه أمراً محتماً .

وأنت حين تجلس إلى إنسان آخر لا تبدي اهتماماً بقدره وأبهته وعلوّ مجده بالغاً ما بلغ من ذلك . كلاً ولا تشير إلى إرادته الأثيمة أصلاً وفهمه الضيق وأفكاره الهزيلة . فأنت بعملك الأول قد تنساق من حيث لا تدري إلى كرهه ومقته ، وبالتالي إلى الاستخفاف به واحتقاره . أما إذا أردت أن تؤثر فيه أو تستحوذ على مشاعره ، فاضرب على وتر أشجانه وآلامه وأحزانه ، تراه قد استكان وانجذب إليك واستيقظت الرابطة الانسانية التي تربط بينك وبينه ، رابطة وصلة عميقتان وثيقتان تقوم على الضعف البشري الذي يشترك فيه كل الناس ويجعل منهم إخواناً في الحياة ، فيزول ما بنفوسهم من كراهية وتشاحن وعداء ، وتشيع المحبة ويسود الرفق والعطف والحنان. ولم يُثر هذا الشعور وينبه هذه الرابطة، اعتبارُكَ جليسك موطن احترامك وتمجيدك ، وإنما عطفك وعزاؤك وشفقتك ، وفي هذا برهان على عقم مذهب «كانت» بل فيه ما يدعونا إلى نفي الخطورة والعظمة والكرامة عن الإنسان . وما يجعلنا ننظر اليه كائناً حقيراً مسكيناً جديراً بالرأفة والشفقة .

﴿ نظرة في تقسيم الفضائل ﴾ يرى البوذيون أن الرذيلة هي الأساس والأصل في طبيعة الإنسان. ثم تأتي الفضيلة مظهراً معاكساً لها . والرذائل الرئيسة عندهم أربع ، وهي الشهوة والكسل والغضب والطمع . ومنهم من يجعل الكبرياء بدل الكسل ويضيف إليها خامسة هي الحسد. والصوفيون لاريب تأثروا بهذا التقسيم فجعلوا الرذائل أربعاً بين كل اثنتين منها تقارب وتجانس، وهي الشهوة، والطمع، والكبرياء، والغضب. ومن الواضح أن الفضائل المعاكسة لها هي العفّة، والكرم، والتواضع، والعطف. والذي يوازن بين رأي البوديين وبين تقسيم أفلاطون الفضائل الى العدل، والشجاعة، والاعتدال، والحكمة، يرى ان أفلاطون لم يتخذ لتقسيمه أساساً مبنيّاً على العقل والمنطق . فقد اعتبر الحكمة فضيلة ، مع أنها من صفات العقل في الغالب ، وليست من صفات الإرادة. كما أن الاعتدال صفة غامضة غير محدودة، وتشير إلى فضائل عديدة

متنوعة. وأيضاً فإن الشجاعة ليست فضيلة، أكثر من كونها آلة في يد الفضيلة . ومن الجائز أن تكون كذلك في يد الرذيلة . إنها في الواقع من صفات الطبع. والفضائل الرئيسة عند الصينيين خمسة هي الشفقة، والعدل، واللياقة، والحكمة، والاخلاص. بينما الفضائل المسيحية ثلاث الايمان والرجاء والمحبة .

﴿ نقطة بدء الأخلاق ﴾ يقول شوبنهور إن شعور الفرد نحو الغير إمّا متمثلاً بالحسد أو بالشفقة ، هو النقطة التي يتفرّع منها طريقا الشر والخير ، أو الرذيلة والفضيلة . وظاهرتا الحسد والشفقة هما عند كل الناس ، وإنما بنسب مختلفة ، وتنشآن من مقايسة الانسان حظه بغيره ، ونتيجة لذلك فإنه يرضخ لإحدى هاتين الخلّتين ، وتتّسم أطواره وأعماله بميسمها وتتأثر بها . والحسد يشيد حاجزاً قويّاً ضيقاً بين (أنا) و (أنت) لكنّ الشفقة تعمل على هدمه وإزالة الفارق بين كل نفس ونفس، لعلّهما تصبحان في النهاية شيئاً واحداً .

﴿ الجبن والشجاعة ﴾ وينتقل شوبنهور إلى التأمّل في الشجاعة والجبن ، فيصف الشجاعة بأنها استعداد المرء لمجابهة شرور تهدده في الحاضر، لكي يحول دون وقوع ما هو أعظم منها في المستقبل ، بينما الجبن على عكس ذلك تماماً . ويقول إن الصبر قائم على إدراك واضح لشرور أخطر من التي يلاقيها الإنسان في حاضره ، وإن تهربه من مواجهة الشرور الحالية بقوة وجلد ، قد يجلب على نفسه ما هو أشد منها وأعظم وأعنف . ولهذا كانت الشجاعة من ناحية ، نوعاً من الصبر . وما دام الصبر هو الذي يمكن الإنسان من التجلد وضبط الأعصاب إزاء المخاطر ، فالشجاعة بواسطة الصبر ، تعتبر شيئاً من الفضيلة .

ولا يدري شوبنهور لِمَ لا تسمو الشجاعة إلى مستوى الفضائل الكبرى، ما دام الخوف من الموت في رأيه مبنيّاً على نظرة فلسفية خاطئة . إذ ليس يجوز أن يخشى الإنسان الموت ما دام وجوده موكداً في خارج ذاته، كما في ذاته أيضاً . وليس يضره أو يخيفه موته نفسه، ما دامت حياته مستمرة في الغير . بل هذا ما يجب أن يزهد الحياة في عينه ، ويبعث في نفسه الشجاعة لملاقاة الموت غير وجل ، ويجعل الجبن لديه أمراً حقيراً ممقوتاً .

يقول شوبنهور : هذا لدى النظر في الشجاعة من ناحية فلسفية عالية . أما إذا اعتبرت من ناحية عادية كان للجبن ما يبرّره ويجوزه عند العامة والدهماء . فالإنسان العادي يرى نفسه

كل شيء في الحياة ، بل يرى ذاته الشرط الأساسي لوجود العالم كله . ولذا فإنه يضع أمر حياته نفسه فوق كل همٍ وشاغل ، فلا يجازف بحياته بدافع الشجاعة ، فيستكين للذل ويعتصم بالجبن لكي يضمن وجوده في الحياة . وعلى هذا الأساس فقط ، فقدت الشجاعة منزلتها بين الفضائل الكبرى .

﴿ الطمع — مَالَهُ ﴾ يقول شوبنهور إنك إذا نظرت في الطمع من زاوية معينة ، رأيت له محاسن تجعله ضرورياً للإنسان لازماً لحياته ، فاعتبرته على هذا الأساس فضيلة ، بينما كان التبذير الذي يكون الطرف الثاني رذيلة . لأنك إذا أنعمت النظر في حقيقة التبذير ألفيته ينشأ من تقييد الإنسان اللذة وربطها بالدقيقة الحاضرة بدل الآتية . وربط اللذة وتقييدها بالحاضر ، يستند إلى الإعتقاد الوهمي الباطل بأن للذة معنىً حقيقياً إيجابياً . وينجم عن هذا أن يمسي المبذر إن آجلاً أم عاجلاً ، فقيراً معدماً بائساً . إنه ثمن يدفعه لقاء جريه وراء اللذة الجوفاء العابرة القائمة على أوهام باطلة زائفة ، أو مقابل ما عاش عليه غروره وزهوه من كذب المنافقين ورياء الطفيليين الهازئين منه في سرهم ، ومن نظرات الدهماء الرانية إليه بذهول وحسد واستعطاف . وبديهي أن يؤول التبذير بصاحبه في نهاية الأمر إلى إتيان الشر (١) .

والدافع للطمع اعتبار الإنسان اللذة أمراً سلبياً والسعادة القائمة على سلسلة من اللذائذ غولاً شرهاً نهماً لا يعرف الشبع . بينما ان الألم هو الحقيقة الايجابية في هذه الحياة . لهذا ترى الإنسان يتهافت على التبذير ليسلك بواسطته سبيلاً إلى اللذة التي تنسيه الآلام . ولما كانت إمكانيات الشقاء والألم في الحياة لا تنفد ، ومواطن الخطر لا عدّ لها ولا حد ، فان الإنسان يلجأ إلى الطمع ليتقي به أكبر شر ممكن . ولسنا نستطيع أن ننعي على الإنسان إفراطه في الطمع والحرص والتقتير ، لأنه ليس في مقدور أحد تعيين الحد الفاصل الذي عنده تنتهي أحكام القدر القاسية ، وأضحت كل حيطة تتخذ ضده بواسطة جمع المال من دلائل الحكمة والعقل . وهل يفيد جمع المال وتكديسه ما دام يؤول مصيره آخر الأمر الى غير صاحبه ، ويصبح سلاحاً واقياً في يد أحد الناس ضد الفاقة والذل ؟ وقد صدق المثل الإسباني القائل « ذو القلب القاسي يهب أكثر من ذي الجيب الخالي » . وعلى هذا الإعتبار يبدو

(١) جاء في القرآن الكريم : « إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين » .

لشوبنهور أن الطمع ليس برذيلة ، وأن التبذير بعيدٌ عن كونه فضيلة .

﴿ الطمع — ما عليه ﴾ بَيْدَ أن شوبنهور يرى في الطمع إذا اعتبرناه من ناحية ثانية خلاصة الرذائل جميعها . ذلك أن الغرائز الحيوانية في الإنسان تدفعه لملاحقة اللذة الحسية والاندفاع وراءها اندفاعاً أعمى دون التبصر في عواقبها السيئة . إذ حين يشيخ الإنسان ويهرم تنقص مقدرته على إشباع شهواته ، وتضعف استجابته للذائذ الجسدية ، بسبب ما اعترى جسمه من هزال ، وما أصاب قوته من خور وانخذال ، فتستحيل رغبتـه في الاستمتاع باللذة الحسية إلى عبادة المال ، فيعمل على جمعه وخزنه دون أن يعي لذلك سبباً معقولاً . وبهذه الصورة تسري الحياة من جديد في هذا الجذع اليابس ، بعد أن كان أخضر يانعاً زاهراً بجميع أصناف الشهوات . إنّها الرغبة في المال تتمكن من صاحبها وتقوى في نفسه وتعصف به ، وباستطاعتها أن تعمّر أكثر منه إن قُدر لها أن تجري معـه في رهان زمني . رغبته هي الشكل المجرّد الذي فيـه تتركز جميع شهوات الجسد ومطالبه الدنيئة ، وإليه تتحوّل وفيه تنسكب وتتجمع وتتجمّـد . ولهذا كان من الأصحّ اعتبار الطمع رذيلة الشيخوخة ، والتبذير رذيلة الشباب .

ولعلّنا مرغمون إزاء ما نراه للطمع من محاسن ومساوىء على قبول المتوسط الذهبي الذي نادى به أرسطو . فنعتبر الإقتصاد الواقع بين الطمع والتبذير فضيلة . ويحملنـا على هذا القول اعتبار كل كمال نسبي في الطبيعة البشرية قريناً لنقص ما ، وكل نقص حليفاً لنوع من الـكمال . ولهذا فإننا كثيراً ما نخلط بين ما يبدو لنـا في نفوس الناس من نقائص وكمالات محالفة لها . فنحكم على الحذر مثلاً بالجبن ، وعلى المقتصد بالبخل والمسرف بالـكرم وجافي الطبع بالصراحة والجرأة .

﴿ ضعف عقليّ وخطة خلقية ﴾ ويلاحظ شوبنهور الخطأ الشائع في الاعتقـاد السائد بأن حطّـة الخلق والغباء صنوان لا ينفصلان ، وأن منشأهما وأصلهما واحد . ولـكن الواقع خلاف ذلك ، وإنما يحمل على هذا التصوّر والاعتقاد وجودهما معاً في أغلب الأحوال ، كأنما يطيب لهما العيش تحت سقف واحد . وكثيراً ما يفسد أمر هـذه الصداقة ويضطرب حبل الزمالة والألفة المتبادلة بينهما فتنقطع . فقد لا يتمكن الغبي مثلاً من إخفـاء لؤمه وغدره

وفساد طبعه ، بينما بمقدور الذكي أن يستر عيوبه الخلقيـة إلى حدٍّ بعيد ، فيبدو بمظهر كريم الخلال من ليس على خلقه من غبار. وكم يحول لؤم الانسان وسوء طويته دون تمكّنه من رؤيته الحق ناصعاً ، فيتحيّز ضدّه ، فيحكم عليـه الناس بضعف العقل وبلادة الذهن .

ولا يزعم شوبنهور أن في الحياة من تخلو طبيعته من عناصر الشر خلوًّا تامًّا ، إذ هو يرى تفاوتاً بين النـاس من حيث الطبائع والأخلاق ، كما في العقول . وإن أطيب النـاس خلقاً وأنبلهم طينة ، لا تخلو نفسه من بعض بذور الشر والفساد . ويتمنى فيلسوفنا لو كان في مقدور الإنسان أن يرى ذاته مجرّدة عارية كما هي ، إذن لاتضحت له ضآلة الأمانة وزهادة النبل وحبّ الخـير المطوي خلف سحب كثيفة من الرياء والمكر والإدعاء الـكاذب ، وبرزت لناظريه صورة مرعبة مزرية يندى لها جبين الانسانية عاراً وخجلاً ، تلك هي صورة حيوان الشرّ المـكشّـر عن أنيابه الجاثم وراء المظاهر البرّاقة الخداعة من الأخلاق المزيفة ، الجالس إلى دفة سفينة الطبيعة البشرية يدفعها ويسيّـرها في مسالك الإثم والباطل . فلا جَـرَم إذا ما رأيت الـكثيرين يختارون أصـدقاءهم من عالم الحيـوان ، ذلك لأن القلوب تطمئن إلى ما فُـطرت عليـه نفس الحيوان من البساطة والصفاء والصدق والولاء الذي ندر أن يكون طبعاً فطريـاً أصيلاً عند بني الانسان .

﴿ وجوه وأقنعة عديدة ﴾ ويتساءل شوبنهور قائلاً : « وهل كان العالم المتمدين غير مرقص تعلو وجوه اللاّهين فيه أقنعة عديدة فيبدون جميعاً بوجوه كاذبة ؟ » فثمة الفلاسفة والعلمـاء وأهل الدين والأدباء والسّاسة والمحامون والأطبـاء وجميعهم يظهرون للناس على خلاف حقائقهم ونوازعهم الصحيحة . وما كانت هذه الأسماء الطنانة غير عناوين كاذبة على وجوه مصطنعة تخفي تحتها طلاّب نفع وفائدة شخصية في الحياة . فمنهم الذي استعار قناع المحامي البارع للدفاع عن الحق ظاهراً وابتزاز الأموال حقيقة وباطناً (الذين يحاربون الناس بالباطل ليُـدحضوا به الحق) . وآخر استعار قناع الوطنية والخدمة العامة لغاية مماثلة. وثالث لبس وجه الدين ولحيته الـكثة الـكثيفة . ولغاية مشابهة بدا بعضهم بوجه العالم الفيلسوف أو المحسن الـكبير . والنساء اخترنَ أقنعة الرّقة والاحتشـام للسيطرة على قلوب الرجال . وهنالك أقنعة عامّـة ووجوه متنوّعة زائفة تفيد في تحقيق أغراض كثيرة مختلفة كوجوه

الاستقامة والشفقة واللطف والدماثة والصداقة، وجلها تُـتخذ لمقاصد نفعية منتزعة من لبّ الأنانية المنكرة. وقد يكون التجار هم الصنف الأوحد الذين يبدون على حقيقتهم، وقلما يحتاجون لوجهٍ كاذب. فهم ظاهراً وباطناً يسعون وراء غاية واحدة هي أن يصبح المال الذي في جيبك في النهاية مالهم.

《 الانسان حيوان 》 وهل كان الانسان في جوهره وحقيقته سوى وحش كاسر! وهل كانت الحضارة البشرية غير عملية ترويض وضبط وتهذيب لهذا الحيوان الرابض في أحشاء الانسان! فليتنا لا ننتفض دهشة واستغراباً ولا ترتعد فرائصنا رهبة واشفاقاً حين نشاهد الطبيعة البشرية الأولى تنطلق من عقالها محطمة أصفاد النظام والعـادات والقوانين، فيبدو عندها الانسان عارياً مجرداً، شرّاً من الحيـوان! ولسنا بحاجة لانتظار الفوضى والعبث بالقانون والاخلال بالنظام الذي يأتيه الانسان من حين إلى آخر على نطاق شامل واسع لندلل على حيوانيته الشرسة الجامحة. ففي حيـاة الأفراد كما في التاريخ أمثلة واقعية لا تعدّ ولا تحصى على اتصاف الإنسان بقسوة ووحشية وفظاظة في الطبع لا ترى لها مثيلاً عند الأسد أو النمر أو الضبع. ففينا يقطن ويعمر حيوان الأنانيـة ومحبة الذات الذي يحطم أغلال الحق والعدل وحب الخير بعنف وقوة مرعبة. أوليس وجود مبدأ التوازن الدولي في أوربا دلالة ساطعة على أن الانسان حيوان مفترس ما يكاد يلمس ضعف أخيه الإنسان وعجزه عن الذود عن نفسه حتى ينقضّ عليـه بشراهة الوحوش؟ أوَ لا ترى إلى جانب حيوان الأثرة وحب الذات حيوانات أخرى تحتشد في صدر الانسان كوحوش الـكراهية والغضب والغل والحقد والحسد، وكلها متركزة كالسم في ناب الأفعى تتربص الفرصـة السانحة للسطو بمن يعترض سبيلها في الحيـاة؟ وهل رأيت غاباً يكتظ بوحوش أكثر شرّاً وسوءاً وإيذاءً من التي تـكمن وتعيش وتولد في نفس الإنسان؟

《 الحيوان أنبل من الإنسان 》 ويتجاوز شوبنهور هذا الحـكم إلى القول بأن الحيوان أنبل من الانسان وأسمى. لأن الإنسان هو الوحيد بين طبقات الحيوان الذي يوقع في الغير أذى وألماً لمجرد الرغبة في ذلك، ولا يفعل ذلك غيره من الحيوانات الاّ بدافع الجوع، أو الذود عن النفس. كلاّ ولا يعذب حيوان آخر لمجرّد التعذيب فحسب. بينما يفعل الإنسان

أكثر من ذلك لأنه مفطور على الأذى والضرر . وهذا ما يجعله دون الحيوان في حطة نفسه وسوء طبيعته . وفي الحياة أمثال كثيرة تثبت ذلك وتؤيده . ولهذا كان الحيوان حكيماً ومصيباً إذا ما خشي الانسان وولى هارباً لدى وقوع بصره عليه . لأن التجارب علمته حقيقة مفيدة لازمة لحياته ما دام خاضعاً للحياة ، وهي أن الانسان هو الكائن الأوحد الذي يقنص قنصاً لا يفيد منه ولا يخشى أذاه

﴿ الرغبة في الحياة ﴾ ويقول شوبنهور إن الوحش الجاثم في نفس الإنسان هو علة كل نزاع وشر . وليس من يستطيع ترويضه وكبح جماحه وتقييده غير العقل حارسه اليقظ اللبق والماهر الجبار . والناس اصطلحوا على تسمية هذا الوحش الكاسر بالناحية الشريرة من طبيعة الإنسان ، مع أنها تمثل في الواقع رغبة الإنسان في الحياة وتمسكه بأذيالها بكل سبيل مستطاع . وتصطدم رغبة الإنسان القوية في الحياة بألوان العذاب في الوجود ، فيعمل على تخفيف آلامه بانزال الألم بغيره . ومن هناك الحقد والغل والكره وجميع أصناف الرذائل الإيجابية المؤذية في الطبيعة البشرية . وقد لاحظ كانت (Kant) أن المادة كامنة من جراء التضاد بين عاملي القبض والامتداد. وشوبنهور يقول ما يشبه هذا فيما يتعلق بالانسان . فالانسان يستطيع أن يضمن بقاءه في الحياة بسبب التضاد والمشادة والتجاذب الكائن بين عوامل الكره أو الغضب والخوف التي تتملكه في بعض الأحوال . فقد تمر عليك ظروف تدفعك للاجرام ، لولا عامل الخوف الذي يلطف من طبعك الأثيم ويخفف من حدته . كما أن الخوف يجعل من الانسان مهزلة في أعين الآخرين ، لولا الغضب الذي يتفجر من نفسه فيعينه على مقاومة الخوف وإزالته من نفسه بقدر الامكان

﴿ الشماتة ﴾ وفي رأي شوبنهور أن الشماتة أو الفرح بما يصيب الآخرين من أذى وضرر ، أسوأ مظهر من طبيعة الانسان . والشماتة تمثل الطرف الآخر من الشفقة التي هي مصدر الإنصاف والرحمة والإحسان . ومع أن الحسد على الضد من الشفقة من ناحية معينة ، إلاّ أنه نتيجة مباشرة لما يبعث إليه . وهذا ما يبرره بعض الشيء ويجعل منه شعوراً مستساغاً ، فطبعاً عادياً عند بني البشر . وليس يخلو أحد من بعض الحسد ، بل من الجائز المعقول أن يشعر أحدنا بحاجته لأشياء توافرت لدى غيره وجلبت له المسرّة والسعادة ، إنما لا يجوز أن

يتطوّر هذا الشعور إلى حدّ الكراهية، فتمقت من تراه أسعد منك حالاً ، وترجو له الأذى وتفرح بمصيبته .

﴿ الحسد ﴾ وقد يكون للحسد بعض العذر حين يثيرهُ في نفسك ما وهبه القضاء أو الصدفة أو الحظّ من نعم وعطايا للانسان الآخر . ولكنه يسوء ويهبط إلى مستوى حقير دنيء مشين حين تكون النعم من فضل الخالق الأعظم . مع هذا فانك تجد أن ما ليس للانسان من فضل في الحصول عليه ، وأن ما تسبغه يد الطبيعة الكريمة على أبناء المسكونة من مواهب رفيعة، لأكثر اثارة للحسد في نفوس الناس . فالعقل الكبير ، والذكاء الألمعي ، حتى العبقرية، لا تستطيع رفع رأسها عالياً والمضي في سبيلها في هذه الحياة دون أن تتوسل الصفح والمعذرة لوجودها حين لا تؤاتيها الظروف ، وتؤازرها الأوضاع ، على تحدي العالم واحتقاره بجرأة واعتزاز . وقد يتمكن الحسود يوماً من كسب الأعراض التي تثير كامن حسده كالجاه والمال والحصول على الرقي الزائف الذي لا يمس النفس والروح والعقل ، بل لا يتعدى القشور ، فلا تنقذ الانسان من الاصطلاء بنار الجهل الكاوية أو يحول دون ولوجه عالم النسيان الأبدي المخيف . بيد أنه لا يستطيع كسب ما يملكه غيره من مزايا عقلية رفيعة وخصائص ممتازة كالذكاء وجمال الخلقة ونبل الفطرة ، وجميع المواهب العالية الموروثة ، فلا يلقى ما يغذي أعصابه المنهوكة المهروءة ويريحها وينفس عن نفسه المكبوتة المخنوقة غير مقت ذي الخصائص الممتازة والدس عليه والتنكر له والانتقاص من قيمته بشتى الأساليب، وحتى يصيب النجاح من هذا ، فانه يحاول إخفاء نواياه الأثيمة بحذق ودهاء مصطنعاً في ذلك جميع ألوان الخداع من تزلف ومكر ورياء . وقد يتعدى ذلك إلى الكذب حتى على نفسه والدجل على غيره ، فيمثل دور غير الآبه المكترث لما يراه في الآخرين من مزايا تؤذيه وتقض مضجعه . وإنه لا يذر وسيلة ناجحة أو يترك فرصة سانحة إلاّ واستغلها في تشويه مقوّمات شخصية المحسود وتلويث سمعته وطمس شهرته . شأنه في ذلك شأن الأفعى تترقب الفرصة المؤاتية فتلسع عدوها ، ثم تهرع الى جحرها لئلاّ ترى فتسحق . وهيهات أن يتمكن الحسود مما تتمكن منه الأفعى ، فانه يميز ويعرف بسهولة ، فينم عليه وينفضح أمره ويكشف عن حقيقة اختلاف سحنته ، وما يند على لسانه من عبارات مرّة لاذعة ، كلما طرق سمعه اسم

الحسود . وكذلك سكونه غير الطبيعي الشاذ ، وانخذال قواه العقلية والنفسية في حضرة رجل المواهب الرفيعة والملكات السامية ، فلا يقوى على الصمود أمامه بل يذوب ويذوي كما تذوب فلول الظلام الدامس وتتقهقر وتتبدد أمام سهام ذكائه الحادة المشرقة . فلنرقب الحسود ولنذكر أنه يبطن العداء ومرارة النفس والبغضاء ، ويعيش في ظلام الكهوف ، ودوماً يسير في الحياة متنكراً مضللاً قلقاً تعباً .

﴿ عقاب وثواب ﴾ يبدو لشوبنهور أن شقاء الانسان في هذا الوجود هو بنسبة فساد طبعه وسوء طويته ، وأنه في واقع الأمر ناتج عن هذا الفساد والسوء . ومن هنا كان يسيراً علينا إدراك معنى العدل الالهي المطلق في العالم . وأن في الحياة الدنيا دنيوية عظيمة لا تقل عما في الآخرة ، وأن الانسان يلاقي جزاء إثمه في حياته كما في مماته ، وأن هذا الجزء مساوٍ لما ينطوي عليه خلقه من شرّ وطبيعته من فساد . وشوبنهور ليس بالمتشائم إلى الحد الذي يضيق عليه خناق الوجود فلا يرى فيه غير الاثم والشرّ المتأصل المتمكن من النفس البشرية ، فإنه يلمح أحياناً أنواراً وضاءة من الأمانة والنبل وحب الخير ، تنبعث من جوف مغارة الطبيعة البشرية الحالكة الظلام ، فتزهر الحياة وتشرق وتشيع ثقة الانسان بالانسان .

﴿ غيرك ذاتك ﴾ ويعدّ شوبنهور مصدر الفضائل جميعها مبدأ (غيرك ذاتك) الذي شرحه بتفصيل في كتابه (الأخلاق) . ويعني بذلك أن كل كائن حيّ غيرك هو في الحقيقة ذاتك ، وأن ليس ثمّة من فرق جوهري حاصل بينك وبين غيرك من الأحياء . ولهذا كان كل إحسان تسديه للناس ، وكل صدقة تتقدّم بها ، هي بداءة الصوفية العالية في الخلق البشري ، وكل فضل تصنعه للغير عن قصد نقي ونيّة طاهرة صافية دليلٌ على أنك تعمل منافياً لطبيعة العالم الظاهرة . ذلك أنك تعتبر ذاتك من حيث لا تشعر ، صنواً لفرد آخر منفصل عنك فتعامله كنفسك . ولك شاهداً على هذا حين يتقدم شخص للموت في سبيل غيره راضياً باسماً ، أو قصة الخادم الذي عضّه كلب مصاب بداء الكلب فلم يلهه التفكير بنفسه عن الاهتمام بأمر غيره ، فيقبض على الكلب بقوة خارقة ويدخله غرفة ويوصد الباب عليه لئلاّ يفلت فيؤذي غيره . وقصة الجندي الذي حُكم عليه بالموت ، وحين جثا يستقبل الرصاص دفع عنه كلبه الأمين

الجاثم قربه خشية ان يُقتل خطأً . وفي هذا برهان ساطع على أن الانسان قد ينسى ذاته في ساعة الخطر فيوجه عواطفه ويحشد قواه لانقاذ الآخرين . ومن هذا يستنتج شوبنهور أن الانسان لايفنى بفناء جسمه ، وإنما يعيش في الأحياء الآخرين ، وفيهم يستمرّ بقاؤه في عالم الوجود . وأنه في أسمى أوضاعه الروحية وأحواله النفسية، يدرك ذلك ويحس به ، وإلاّ لما ألفيته يهتم بأمور غيره ويعمل على استمرار وجودهم في الحياة في حال هجره هذه الحياة .

﴿ صورتان للوجود في ذهن الانسان ﴾ يرى شوبنهور أن للانسان وسيلتين بهما يعي وجوده في الحياة: الأولى إدراك للوجود قائم على ملاحظة المظهر الخارجي للعالم، وفيها يرى ذاته شيئاً حقيراً زهيداً إلى حدّ نقطة الزوال من هذا العالم الذي لا يُحدّ ، وانه واحدٌ من ملايين مثله يسعون على وجه هذا الكوكب لفترة وجيزة ويتجدّدون كل ثلاثين عاماً. والثانية تتأتى من تغلغلُ الانسان بثاقب فكره إلى أعماق ذاته وسبر أغوار نفسه فيفضي به ذلك إلى الشعور بأنه (الكل في الكل) ، وأنه الكائن الحقيقي في هذا الوجود ، وأنه ككائن حقيقي يرى ذاته مكرّرةً في الآخرين الذين يبدون له كأنما هم ذاته الحقيقية قد انعكست في مرايا .

والصورة الأولى تطابق مبدأ كانت (Kant) القائل بتوزع الحياة على أفراد عديدين . والثانية من العقائد التي جاء بها الفيدا (Veda) الكتاب المقدس للبرهمية في الهند . ولربما لعترض أحدهم على الصورة الثانية ملاحظاً استحالة إدراك الربط والوصل بين كائنين منفردين وإدماجهما في وجود واحد وحياة واحدة جامعة ، بالرغم مما بينهما من انفصال زماني ومكاني كما تدلّ ظواهر الأشياء . ويجيب شوبنهور بقوله إن مبدأ (كانت) القائل بتوزع الحياة على أفراد عديدين يساعد على توضيح هذه الصورة وطبعها في النفوس والأذهان . ذلك ان الرغبة في الحياة من الخصائص الاساسية لجميع الكائنات الحية ، منفردة وكذلك متجمعة تمثل الحياة ككلية واحدة في جميع الأزمان . ولهذا كان لسان حال كل كائن حي قوله مخاطباً ذاته « ما دُمت آمناً على نفسي ، فلست أسأل لو هلك العالم كله »

ويؤكد شوبنهور أنه لو ظلّ فرد واحدٌ حيًّا وهلك الناس جميعاً فان هذا الفرد يملك في نفسه الوجود الذاتي للعالم بأسره غير مشوب أو منقوص ، ويسخر من فناء العالم كأنه وهمٌ باطل . كما يعتقد أن بفناء ذلك الفرد الباقي فناء كل العالم أيضاً . ولعلّ هذا ما عناه

الفيلسوف الصوفي أنجليوس سيليسيوس Argelius Silesius إذ صرّح باستحاله وجود الخالق بدونه،وانه بفنائه فناء الله تعالى ، وقد يكون هذا القول مطابقاً لما جاء في الحكمة الاسلامية القائلة على لسانه عزّ وجلّ « كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلق فبهم عُرفت » . ويقرّب شوبنهور إلى أذهاننا اعتقاده بوجود الفرد خارج ذاته بظاهرة المشي أثناء النوم . فمع ان السائر أثناء النوم لا يفقد ذاته ، فانه حين يستيقظ لا يتذكر ما فعله خلال نومه . وهكذا تجد أنه من الذات الواحدة ينشأ ويتكوّن ويخرج وعيان منفصلان لا يدري أحدهما من أمر الآخر شيئاً !

﴿ الخلاصة ﴾ وصفوة ما يستنتج من شرح شوبنهور وتحليله الفلسفي للطبيعة البشرية أن للانسان كما للكون حقيقتين باطنية وظاهرية . وأنه من واجب المفكرين وذوي الألباب الالتفات إلى الحقيقة الباطنية الكامنة وراء المظاهر الخارجية ، لأنها وحدها التي تملك قيمة معنوية غالية . إذ كثيراً ما تخدعنا مظاهر الخلق والتصرف البشري الزائفة فتصورها حقائق راهنة . وشوبنهور يهدف إلى إزالة التعمية أو التنكير (كاموفلاج) التي يلتجأ إليها الانسان في سلوكه في الحياة فتحول بينه وبين رؤية حقيقة ذاته وجهاً لوجه ، وتقصيه عن السبيل المفضي به إلى الخير والسموّ والكمال المطلق . ولقد شرحت هذه الفكرة في مقال مبتكر أسميته (وحدانية الانسان) ويتلخص كله في الجملة الآتية (إنه لا فرق بين مشرك بالله ومشرك بالنفس . فلن يدخل ملكوت الله الأحد غير الانسان الأحد . ولعلّ بمقدور الانسان بعد جهاد خلقي عنيف ورياضة روحية صارمة، التوفيق بين ظاهره وباطنه . جاعلاً من ذاته إنساناً واحداً ومن نفسه وحدة لا تتجزأ . عندها يسهل عليه أن يرى غيره كذاته فيعامله كنفسه ، وإذا ما تمّ له ذلك أصبح عالمنا عالم خير ومحبة وتسام وتضحية وصفاء . عالَم شعاره وطابعه الحكمة الأزلية الخالدة التي فاه بها الرسول الأعظم « الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

السلط — شرق الاردن

جريس القسوس

ب. ع. أدب انجليزي

الخلوروس وعلاجه

هو نوع خاص من الأنيميا يصيب الشابات في دور البلوغ . وكلمة خلوروس Chloros مشتقة من اليونانية ومعناها «أخضر»[1] ، وهذا الداء معروف ويطلق عليه عامياً اسم المرض الأخضر أو أيضاً داء الخضرة ويتميز جوهرياً عن الانيميا (فقر الدم) ليس بنقص كريات الدم الحمر الناتج عن فقد كمية كبيرة من دم الجسم ، أو من تلف الدم أو من خلل في تجهيزه — بل من نقص مقدار اليحمور (الهموغلوبين) الذي في الكريات . ويتسبب نقص اليحمور هذا عن نقص الحديد في الدم . فالمصابون بهذا المرض يكون عدد كريات الدم عندهم طبيعياً أو تقريباً طبيعياً ، غير إن كل واحدة من هذه الكريات تكون فقيرة مادة اليحمور (وهي المادة الملونة للدم) . وقد تقلّ كمية اليحمور هذا الى خمس النسبة الطبيعية . وفي حالات المرض المتوسطة الخطورة تهبط كميته الى ٤٠ بل إلى ٦٠ في المئة عمّا هي في الحالة السويّة .

﴿ أعراضه ﴾ : يُعرف الخلوروس بوجه عام من هيئة المريض الخاصّة دون أن تدعو الضرورة حتماً إلى فحص الدم ، فترى المصاب إذ ذاك شاحب اللون الى الاخضرار ووجه أبيض كالشمع . وإذا نظرنا إلى ملتحمة العين الجفني ، واللثة والشفتين نجدها إلى الصفرة باهتة اللون ، مع انتفاخ في الجفون وفي كعب القدمين . وخلافاً للمصابين بفقر الدم تكون حالة التغذية عموماً عند المصابين بالخلوروس جيدة ، فهم يتغذون غالباً تغذية حسنة ويكون وجههم في أكثر الأحيان منتفخاً . ومنهم بالعكس مَن تتلوّن خدوده فتبدو وردية زاهرة بالقياس إلى اقسام الوجه الأخرى . وعند ما تشتدّ الحالة يصاب المريض بانحطاط القوى ، والخفقان ، وسرعة دقات القلب ، والدوار ، وضيق التنفس عند أقل مجهود عضلي ، واختلال الحس في الأطراف والشعور بثقل أو ضغط في الرأس . ويرافق هذا غالباً بعض اضطرابات هضمية مثل فقدان الشهوة إلى الطعام أو ازديادها أو انحرافها ، والامساك المستعصي وكسل الامعاء وسوء الهضم وتمدد المعدة ، وتكون الكبد إما صغيرة أو متضخمة ، وهذه الأعراض لا تختلف إلاّ قليلاً عمّا هي في حالة الاصابة بالأنيميا . أضف إلى ما تقدم :

---

(١) يمكن أن يسمى هذا مرض الخضار بضم الخاء (المحرر)

الميول الخاصة عند المصابين بالخلوروس لبعض الأطعمة فتراهم يحبون بنوع خاص الخل والتوابل وحبوب القهوة والطباشير أحياناً الخ... وكثيراً ما يتفق حدوث قرحة المعدة مع الاصابة بالخلوروس .

ويرافق أيضاً هذه الحالة في أغلب الأحيان اضطرابات الطمث، وهذا إما أن ينقطع أو يكون غزيراً جداً . ويصاب المريض عدا ذلك بضعف القلب والأعصاب ويكون مُعرَّضاً غالباً للاصابة بالسل الرئوي . وقد تصاب أيضاً العروق بانسداد يفضي إلى الموت . وبالرغم من ذلك كله فالخلوروس يعتبر من الأمراض الممكن شفاؤها خلال بضعة شهور إذا عولج في بدايته. وفي بعض الأحيان نراه يشفى من تلقاء نفسه فتطول حينئذٍ مدة الشفاء . وفي بعض المرات أيضاً تنتكس حالة المصاب بعد التحسن وتبقى الفتيات المصابات مدة طويلة جداً في حالة تعسة محزنة ، فلا هنَّ بصحة جيدة فعلاً ، ولا هنَّ بالمريضات حقيقةً .

﴿ أسبابه ﴾ : تعزى أسباب الخلوروس غالباً الى رداءة الحالة الصحية وسوء المعيشة والسكنى زمناً طويلاً في غرف ضيقة فاسدة الهواء ، ثم إلى التغذية غير الكافية ، وقلة النوم أو عدمه والتعب والتأثرات والشغل المتواصل في المدن . ومن الأسباب المهيئة لذلك أيضاً لبس الملابس غير الصحية ولا سيما المشد . وحيال هذه الأسباب العَرَضية المساعدة على الاصابة بالخلوروس توجد أيضاً أسباب حقيقية خاصة بهذا الداء تعمل غالباً على تسبيبه كصغر القلب مثلاً أو وجود تَخَصُّر في الأوعية الدموية ، وهما عَرَضان يشاهدان عند كثيرين من المصابين بهذا المرض وإن كان وجودهما فعلاً لا يكفي لتفسير كل الحالات .

والواقع أن الخلوروس نفسه لهُ أهمية كبرى في حدوث كثير من الاضطرابات القلبية . ولما كانت أسبابه تبدل في تركيب الدم ولا سيما نقص في كمية اليحمور كما قلنا ، نشأ عن ذلك والحالة هذه نقص في تغذية القلب . ولهذا نجد في كثير من الأحيان عند الفتيات الشاحبات اللون والمصابات بفقر الدم — اللاتي يشتغلنَ عادةً بائعات في المخازن ، أو أمينات صناديق ، أو عاملات في المعامل أو أيضاً خادمات — مرض في الصمامات مع تمدد في عضلة القلب . ولحسن الحظ يحدث غالباً أن تتحسن كثيراً حالتهنَّ الصحية ويزول المرض ويتم الشفاء ولو بعد فوات الوقت .

١ — ﴿ العلاج العام لهذا المرض ﴾ : يجب أن نلاحظ أولاً في مداواة الخلوروس النقطة التالية: وهي أن قسماً من هذا المرض يعود سببه إلى رداءة الحالة الصحية . فاذا كانت الحالة خطيرة وكانت نسبة اليحمور ٥٠ في المئة أو أقلّ من ذلك، فلا بدّ للمصاب والحالة هذه من الراحة التامة وملازمة الفراش ، بل والأفضل من ذلك إرساله إلى أحدى المصحات، إذا

كان قادراً على الوقوف. وان كان ثرياً فيُرسل إلى مدن المياه المعدنية ويُفضل تلك التي يحتوي ماؤها على الحديد مثل حمامات بوربون في فرنسا (Bourbonne les bains) ، ومياه موندور (Mont-Dore) بفرنسا أيضاً ، ومياه مارينباد (Marinbad) بالنمسا وغيرها .

وإذا كانت المريضة من عائلة متوسطة الحال فالسكنى في الأرياف تعتبر كافية . ومهما يكن من الأمر، فيجب على المصاب أن يعيش في الهواء الطلق ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويتجنب تعب الجسم ولبس المشد والملابس الضيقة . أما من ناحية الغذاء ، فيجب أن يكون وافراً ، وتكافح قلة الشهية بانتخاب الأطعمة المتنوعة والمغذية ، ولا سيما التي تحتوي على الحديد . فسبب الخلوروس كما قلنا هو نقص مقدار اليحمور في الدم . وهو مادة زلالية تتميز عن سواها من المواد بارتفاع نسبة الحديد فيها ، فنقصه يعني في الوقت نفسه فقر الدم من الحديد الغذائي .

وقد دلت الاختبارات العديدة على أنه يمكن التوصل فعلاً الى تعويض نقص اليحمور في الدم وشفاء المريض باستعمال أطعمة غنية بالحديد كالبيض والبقول الخضر واللحوم والبطاطس والفطائر والمعجونات الغذائية . وأفضل البقول الخضر الحاوية للحديد هي الاسفاناخ والبطاطس والفاصوليا البيضاء والجزر والعدس والبسلة . ومن الأثمار : الكرز الأسود والأحمر والتفاح والتوت الافرنجي والبندق . ويأتي منها في الدرجة الثانية الخوخ والعنب والتين واللوز والتوت الشوكي framboises . ومن اللحوم : لحم الثور في الدرجة الأولى ثم لحوم الحيوانات الأخرى ، ودم الخنزير (بشكل مُقانِق boudins) أو متبل ragoûts . وأفقر المواد الغذائية بالحديد : بياض البيض والأرز ودقيق الحنطة والشعير المقشور . ومن الحلويات : العسل والدبس. أما السكر فخال تماماً من الحديد . ويجب الاقلال من القهوة وتناول الشاي الخفيف وتجنب المشروبات الكحولية ، ويكون طعام المريض منوعاً .

وزبدة القول أنه من أهم الأغذية الموافقة للمصابين بالخلوروس هي البقول الخضر ولاسيما الاسفاناخ ، والبيض واللحوم والمُقانق والأثمار وخصوصاً التفاح ، والأثمار المطبوخة Compottes .

وهناك أيضاً اللبن الحليب، وهذا يعد فقيراً جداً بالحديد ولا يصلح في علاج هذا المرض. واننا لا نقصد بذلك حذفه من قائمة طعام المريض، ولكن تناوله صرفاً لا يفيد هذا المريض شيئاً في مثل هذه الحالة ، والأفضل أن يتناول مضافاً إلى وجبات الطعام المعينة كشراب يقوم مقام الشاي أو القهوة ، وهو يوافق خصوصاً الفتيات الضعيفات الهزيلات ، ويؤخذ

منه إذ ذاك قدر ربع لتر في كل مرة وقت فطور الصباح ووقت الغداء ، ثم بعد الظهر ،ومساء بعد تناول العشاء . واذا عافته نفس المريض ورفض تناوله فيضاف اليه قليل من القهوة أو الكاكاو أو الكونياك تسهيلاً لأخذه . ويمكن أيضاً الاستعاضة عن اللبن الحليب ببيضتين نيئتين مضروبتين (مخفوقتين) . وفي حالة ضعف الشهية أو فقدانها عند المصاب لدرجة أنه لا يستطيع أن يتناول لا اللبن الحليب ولا اللحوم ولا البيض ، فيمكن حينئذٍ إعطاؤه الأثمار والبقول او بعض المستحضرات الغذائية الصناعية الحاوية للحديد بشرط أن يعود بعد مدة قصيرة وبالسرعة الممكنة الى الحمية الاعتيادية . وعلى كل يعمل على تحريض الشهية إذا كانت مفقودة أو ضعيفة باعطاء المريض قدحاً صغيراً من شراب شيري Sherry أو الفرموت Vermous قبل الطعام ، أو أيضاً أحد الخمور الجيدة يتخلله عنصر فعال كالحديد أو كينا مع الحديد مثلاً التي أعطت غالباً نتائج حسنة .

ومن الضروري كذلك اعطاء الفتيات الضعيفات الناحلات أطعمة تحتوي على مقدار وافر من المواد الدهنية والكريما والزبدة بشكل (قطع خبز عليها طبقة سميكة من الزبدة) Tartines de beurre .

٢ — ﴿ العلاج الخاص للخلوروس ﴾ : أخص الأدوية المفيدة في هذا الداء بعض مستحضرات الحديد ، أو الكينا مع الحديد ، والزرنيخ وزيت السمك بحسب رأي الطبيب . ويجب أن نقول هنا إن الحالات الخفيفة لهذا المرض تشفى بفضل العناية الصحية والطعام الموافق . أما في حالاته الخطيرة فعدم استعمال مركبات الحديد الصناعية أو إهماله يعتبر خطأً كبيراً ، وقد برهنت تجارب الاطباء العديدة على أن الحديد لا يجارى في علاج هذا المرض، وانه من الأدوية القديمة النادرة التي هي فوق كل ذم أو انتقاد .

ويمكن أيضاً اعطاء الحديد نفسه في حالات الداء الخفيفة ، وتوجد الآن مستحضرات منه لا تؤذي قط المعدة ولا الأسنان . فتنتخب الوصفة الطبية من مركبات الحديد بحسب حالة المريض الصحية ، وخصوصاً بحسب معدته ، وحالته المالية ، وأفضل مستحضرات الحديد الحالية ، وأرخصها ثمناً وأشدها مفعولاً هي بلا منازع تلك الحبوب القديمة المسماة « حبوب بلود » pillules de Blaud التي تؤخذ مع قليل من الخبز بعد الطعام . ومن خواص هذه الحبوب أنها لا تزعج ولا تثقل على المعدة . ويمكن أيضاً في حالات المرض الخطيرة إعطاء المصاب ، عدا الحديد ، بعض مركبات الزرنيخ بحسب استحسان الطبيب .

بيروت — الدكتور عبده رزق

الضوئيّات

آخر كلمة فيها

لم يتسنَّ لي أن أتصفح أجزاء المقتطف الأخيرة لأني كنت منكوباً بأكزيما في الجفون أفضت معالجتها عرضاً الى كارثة في العين اليمنى طرحتني في جحيم من آلام لم يذق أيوب مثل بعضها . فكنت كالطير يرقص . . . وقضيت بضعة أسابيع في زاوية مظلمة كأنها زنزانة المجرمين . وانقطعت عن العالم الخارجي . وبقيت في عالمي الداخلي تتداولني الأفكار السوداء . وقد تداركني نابغة طب العيون الأكبر الوحيد في الشرق والغرب سعادة الدكتور محمد صبحي بك . فعانى في معالجتي طويلاً وكانت أوامره الصارمة تحظر عليَّ رؤية الضوء بالعين السليمة لكيلا تتأثر العين العليلة . بل كان يرغب في أن تكون كلتا عيني معصوبتين لكيلا تتحرك العليلة في محجرها بتحرك السليمة — جحيم آلام متوالية — وقى الله منها العدو قبل الصديق . وأثاب الله الطبيب العبقري خيراً وعافية وعمراً طويلاً .

والعجيب أنه في اثناء آلامي أوحت أنامله الرؤوفة لقريحتي الخاملة هذين البيتين أسجل بهما فضله العظيم وشكري الجزيل .

أنامل صبحي أم بنان ابن مريم ... تمشَّت على عينيك بغية تطبيبك

فكانت اذا ما اسودَّ ليلي مُوجعاً ... تصيِّرُه صبحاً فآمنت صبحي بك

وأخيراً حملني ملل هذا السجن المظلم أن أعصى أمر الطبيب خلسة ، وقد قاربت الشفاء ، وأستعمل العين السليمة أويقات متباعدة لكي أقرأ ما نشره المقتطف من نقد لما كتبته فيه عن الذَّرة في الآونة الأخيرة .

وكأن ما كتبته كان حافزاً لعالمين : الأستاذ فؤاد جميعاز من القدس والأستاذ جريس الشرايحه من السلط (شرق الأردن) أن يدليا بمعلوماتهما القيِّمة . فكان بعضها في صميم الموضوع وبعضها في ما اتصل به أو تفرَّع منه . ولا يخفى أن جميع المعلومات الطبيعية مرتبطة بعضها

ببعض . ولا ريب أن في نقدهما فوائد كبيرة لي وللقراء .

والمفهوم من مقال الاستاذ فؤاد جيعان أنه تخصص في العلوم الطبيعية ولهذا يتكلم كمعلم يلقي دروساً على طالب. وأما أنا فكما قال في خاتمة مقاله لست متخصصاً . بل أنا بالحقيقة طالب علم حبًّا بالعلم . ولم أتخصص إلاَّ في فن الصيدلة . وكنت في تلك الأيام في شبه بؤس لا يتسع لي المجال لتحصيل العلم . فلا أب لي لينفق ولا ثروة أستعين بها إلاَّ الاجتهاد وقهر نزق الصبي ولهو الشباب . فأمكنني بعونة الله أن أحصل على دبلوم صيدلة من كلية بيروت الامريكية (لم تكن جامعة حينئذٍ) في مدة ثلاث سنين وهي كل مدة دراستي المدرسية . واضطررت أن أتعلم اللغة الانكليزية بنفسي في البيت ولا معلم لي سوى قاموس أبكاريوس وكتاب الطوالع السعدية في تعليم اللغة الانكليزية وكتب القراءة الانكليزية، الى أن حصلت من هذه اللغة ما يمكنني من دخول الحكاية .

أجل يا سيدي الاستاذ لم أكن متخصصاً ولم يمنحني الحظ العاثر المقدرة على التخصص . ولكني قضيت الى الآن ٤٤ سنة أطالع وأدرس ، وترى في قائمة مصادر كتابي النسبية بعض الكتب التي طالعتها مراراً فضلاً عن عشرات وعشرات غيرها من مؤلفات العلماء في هذا القرن . وآخر ما طالعته من الكتب عن الذَّرة ثلاثة صدرت بعد إلقاء القنبلة الذرية في اليابان . وأهمها وأقواها حجة كتاب «الطاقة الذَّرية» الذي أصدرته وزارة الحرب الاميركية تأليف العلاّمة سميث رئيس قسم الطبيعة في جامعة برنستون . وكان عضواً في إحدى اللجان العلمية المشتغلة بمباحث الذرة واصطناع قنبلتها . كتبه تلبيةً لطلب الماجور جنرال جرفس في الجيش الاميركي. وكان هذا القائد مشرفاً من قبل وزارة الحربية على أعمال العلماء والفنيين في اصطناع القنبلة . ولا بد أن علماء الذَّرة والقنبلة قد اطلعوا على هذا الكتاب ووافقوا عليه ، فطبعته الحكومة الاميركية . وهو تقرير عام شامل عن المباحث في الذَّرة وعن التجربات العملية والأعمال في معامل القنبلة . وصرّح هذا المؤلف أنه أغفل منه أسرار صنع القنبلة وكيفية اطلاقها لأنها محفوظة في مستودع معامل القنبلة . فهذا الكتاب يُعدُّ الآن حجة وأعظم ثقة وإليه المرجع الأخير .

فما كنت أكتبه في هذا الموضوع كان مما رسخ في ذهني من هذه المطالعات العديدة

المتكررة من المعلومات الضئيلة التي حصلتها . فلا أستطيع أن أدعي العالمية (بكسر اللام) ولا أن أدّعي العصمة فيما كتبت — العصمة لله وحده .

وإذا كان كبار العلماء يختلفون كثيراً في نظريات علمية فلا بدع إن صعاليك العلم من أمثالي (لا أحسب الأستاذين جريس الشرايحة وفؤاد جميعان منهم) يختلفون تبعاً لاختلاف العلماء الذين أخذوا عنهم .

من أمثلة اختلاف أساطين العلماء حتى اليوم عقيدتهم في ماهية النور . فقال بعضهم كما قال نيوتن إنه ذريرات تنبثق من الجسم المنير الى جميع الجهات في اتجاهات مستقيمة. ولما ثبت لهم أنها تنتشر بشكل موجات ذات مرتفعات ومنخفضات فرضوا الأثير لتعليل موجاتهم وبعضهم جحدوا الأثير . وأينشطين لم يجحده بتاتاً بل أعرض عنه وقال انه يستغني عنه في نسبيته . وقال بعض العلماء : « لا يمكن أن نستغني عن الأثير لتعليل بعض الظاهرات العلمية كالتداخل النوراني » وقال بعضهم : ماذا يمنع أن يكون النور ذريرات تنطلق في اتجاهات موجية، يعني ذريرات تسير متموجة . والسير تجايمس تجينز من هذا الرأي وقد صاغ له كلمة Wavicle من كلمتي waveparticle . ولم يزل انطلاق النور أو الموجات الكهرطيسية في الفضاء الخالي موضوع تخمين وحيرة لأن العلماء لم يهتدوا حتى الآن الى نظرية تتعلل بها جميع ظاهرات الطبيعة .

وما يختلف فيه العلماء الى الآن حقيقة النيوترون في الذرة. فمنهم من يقول انه بروتون خالي الشحنة الكهربائية ، ومنهم من يقول إنه بروتون إيجابي يصاحبه الكترونه السلبي الشحنة، فتعادلت شحنتهما وأصبحا كأنهما بلا شحنة. ولكن يعترض على صحة هذا القول أنه اذا اصطحب بروتون الكترونا تجاذبا وتصادما وتنافت شحنتاهما جميعاً وتفتتا الى فوتونات خالية الشحنة ذات طاقة. إذن النيوترون على كل حال ذريرة صماء لا شحنة فيها . وأخيراً قيل انه كان في الأصل بروتوناً . ولعارض ما انسلخت منه سلخة بوزن الالكترون وأخذت معها شحنته الايجابية فبقي بلا شحنة فسموه نيوتروناً .

وهناك نظريات أخرى يختلف فيها العلماء الى الآن فلا بدع أن نختلف نحن فيما اختلفوا فيه ونحن آخذون عنهم . وفي كتاب « الطاقة الذرية » الذي طبعته الحكومة الاميركية،

وقد أشرت إليه آنفاً ، بعض نقط اختلاف في تعليلها بعض العلماء الذين كانوا يبحثون ويجربون ويعملون .

ليس في إمكاني أن أمحّص مقال الأستاذ فؤاد جميعان وأناقش في كل نقطة منه إما إذعاناً أو تفنيداً أو جحداً . لأني في حال لا أستطيع معها أن أراجع مصادر إلا اضطراراً . فأكتب الآن استناداً على ما رسخ في الذهن من المعلومات بعد تكرار المطالعات .

يستهجن الأستاذ جميعان قولي بوحدة الطاقة والمادة ونسبتها الى أينشطين . وأنا لا أزال أصرُّ على هذا القول . وهو يحجني فيه بخطاء في ترجمتي عبارة من كتاب «الكون الغامض» تفيد معنى الوحدة . وكذلك لا أزال أصر على ان فحوى ترجمة العبارة تطابق فحوى العبارة الذي عناه تجينز على اعتبار أن الطاقة والمادة شيء واحد كما قال اينشطين . ولعل الأستاذ يستنكر أن استعمل « القوة » بدل « الطاقة » . وقد اعتدت ان استعملها لكل معنى من معاني القوة كالطاقة Energy والقوة المحركة Force والقوة المضمرة أو الكامنة Potentiality والقوة العاملة Power لظني أن جانباً كبيراً من القراء لم يتخصصوا لمعرفة الفروق بين هذه الأسماء وما هي إلاَّ اسماء متنوعة لتنوعات الحالات التي تظهر فيها القوة كما نفهمها بلغتنا العربية . فلا يحق لك أن تقول للعامي القوة غير الطاقة إلاَّ إذا أفهمته اختلاف حالتي القوة . كلتاهما قوة وانما الطاقة قوة مخزونة وتدل على مطلق وجود القوة من غير نظر إلى أحوالها المختلفة .

ثم يقول الأستاذ بشبه حدَّة « لست أدري من أين أتى بهذا القول وفي أي مكان أو زمان قاله اينشطين ؟ » وبهذا التساءل يعتقد الأستاذ ان ما لم يقرأه ولم يطلع عليه لا وجود له في كتاب ولا قاله قائل ، في حين أن هذا القول أشار إليه بعض العلماء منسوباً إلى اينشطين . والحق يقال ان هذا القول لا يدخل في العقل كأكثر نظريات اينشطين لأن تصورها صعب أو متعذر . واينشطين في نظرياته لا يعتمد على التخيل والتصور في فهمها أو تفهيمها بل على العمليات الرياضيـة . ولعل الأستاذ جميعان إذا طالع ما لم يطالعه بعد من كتب فحول العلم الحديث يعثر على النظرية . قد يعثر عليها في كتاب « العوالم من حوانا » للسير تجينز أو في غيره من مؤلفاته أو في بعض كتب النسبية أو في كتاب برتران رسل A. B. C. of Relatwity ولعلَّ اينشطين قاله في سياق الكلام عن الفوتون . الفوتون مادة مندفعة في الفضاء

بقوة. فأين هذه القوة التي تدفعه ؟ — هي فيه ومنه وله — هي هو . اذا جردناه منها أو جردناها منه أصبحا عدماً . هما كالأحمر والحمرة شيء واحد ، فلا ينفصلان إلاّ لغويّاً نعتاً ومنعوتاً . واذا سحقت الأحمر سحقاً دقيقاً وجدت كل ذرة منه حمراء مهما بالغت في السحق . هما شيء واحد ذو مظهرين مادة ولون . بهذا الاعتبار قال اينشطين ان القوة والمادة شيء واحد كما قال ان الزمان والمكان شيء واحد .

نعود الى العبارة التي ترجمتها من كتاب الكون الغامض لتجينز . فاذا شاء الاستاذ التدقيق فليسمح لي أن أقول له عبارته ان تصحيحه للترجمة تشويه للحقيقة اذ قال ان تجينز قال : « فتنطلق طاقتهما المشتركة كومضة اشعاع » لأن كلمة ompined لا تعني « مشتركاً » كما صحح بل « مركباً » .

وأغرب نظريات اينشطين ان المادة كلما عجلت أي تسارعت ازدادت كتلتها لأنه يخالف للمشاهد المألوف عند البشر ، على انه يؤيد نظريته في وحدة المادة والطاقة . وقد يكون قائله اينشطين في رأي الأستاذ جيمان أكبر مجانين هذا العصر . ولكن بكل أسف قاله وما هو بمجنون . وأظن — وبعض الظن إثم — انه قاله للاعتبار التالي : المادة تعجل بازدياد القوة التي تدفعها أو تعجلها بالتكافؤ . فالمادة تزيد كتلة لأن القوة التي تدفعها زادت . فكأنَّ (وكأنَّ غير أن) الكتلة تولدت من القوة أو الطاقة المتجمعة . فلا بدع أن يكونا شيئاً واحداً أو من طبيعة واحدة . وهو موضوع عويص جدّاً ليس لمثلي أن يفسره . وهنا قد يحتد الأستاذ ويسأل : « من قال هذا وأين قرأته » أقول قاله اينشطين وجاراه العلماء فيه .

ومعظم نظريات اينشطين مستغربات كاندماج الزمان بالمكان فيسميهما معاً « مكان — زمان » لا « زمان ومكان » وقد اختصرتهما في كتابي النسبية بكلمة « زمكان » فهو يحسبهما شيئاً واحداً . وقد سبقه بعض العلماء الى هذه النظرية . ولا ريب في انهما شيء واحد بمعنى أن الزمان مقياس حركة المادة في المكان . فلا تستطيع أن تجرد المكان من الزمان ما دام في المكان مادة تتحرك فيه مستغرقة مدة ... لا تستطيع أن تتحرك في المكان من غير أن تقضي مدة . هل تستطيع الطائرة أن ترحل من القاهرة الى القدس إلاّ في زمان معين ؟ فرحلتها أشغلت الزمان والمكان معاً . كذلك الفوتون لا يندفع إلاّ بقوة فيه . كلاهما بهذا الاعتبار شيء واحد .

وكذلك حسب اينشطين الزمان رابع الابعاد الطول والعرض والعمق . والمستغرب في هذا القول ان الزمن من صنف غير صنف هـذه الابعاد . فكيف حسبه أحـدها ؟ ما شأن الزمان مع الطول والعرض والعمق ؟ شأنه أن الزمان مرتبط بالمكان كما تقـدم القول. فالجسم المتحرك في المكان بابعاده الثلاثة يتحرك في زمان، فأصبح الزمان بعداً رابعاً.

ومن مستغرباته ان الجسم كلما أسرع تقلص حتى اذا بلغت سرعته سرعة النور فني أو اضمحل أو بالأحرى اختفى . وهـذه النظرية يمكن تفسيرها بسهولة اذا روعي مكان الراصد الذي يرقب الجسم المسرع . وليس هنا محل تفسيرها

يستعين الأستاذ جيمان بمقدار (Quantum) بلانك في جحد نظرية وحدة المادة والطاقة. والذي فهمناه من نظرية « الكونتم » ان الحركة ليست استمرارية منسابة انسياباً بل هي متقطعة قطعاً قطعاً متساوية . أي الجسم لا يسير في طريقه انسياباً بلا توقف بل يثب وثبات متتابعة . وبلانك اكتشف مقادير هذه الوثبات . فهو لم يتعرض لنفس الطاقة ، بل تعرض للحركة الناجمة عنها من حيث الكم لا من حيث الكيف .

الى الآن لم يكتشف العالم ما هي الحقيقة الطبيعية للطاقة وانما اكتشف كميتها من حيث الحركة الصادرة عنها وتنويعها في حالاتها المختلفة .

وقد صدق الأستاذ جيمان بأنه يحس أو يلمس القوة بعملية رياضية . فهذا لمسٌ أو حسٌّ عقلي يا أستاذ. ولكن ما هي الطاقة أو القوة منفصلة عن المادة ؟ هي لاشيء . لا يمكن أن تنفصل الطاقة عن المادة. هما شيء واحد : لا يمكن بلانك أو اينشطين أن يفسر هذا السر الغامض في المادة . وإذا جعلنا نتأثر الطاقة من موضع الى موضع بلغنا أخيراً الى الجاذبية فهي ينبوع القوة . ولكن ما هي الجاذبيـة ؟ لم يقل لنا السير اسحق نيوتن ماهي . وإنما قال لنا ما هو قانونها . هي سر الله في الكون ، هي يد الله التي تدير الأكوان .

والعلماء الذين يتكلمون عن « المقدار » (كوَنْتُم) يتكلمون عنه تارة بأنه الفوتون وأخرى بأنه طاقة. كأنَّ الطاقة والفوتون مترادفان لمعنى واحد .

والأستاذ جيمان ذكر مثل هذا في قوله : « بحسب نظرية بلانك الطاقة أو الفوتونات أو المقادير الضوئية هي $E = h\nu$ وفي هذا النص الصريح الطاقة والفوتونات (وهي مادية)

والمقادير الضوئية Quantums مترادفات لشيء واحد . وهذا القول يؤيد وحدة المادة والطاقة.
« من فمك أدينك يا إنسان » . عفواً يا أستاذ الدينونة لله وحده . وإنما هي عبارة مقتبسة من الانجيل فجاءت في محلها هنا

بعد هذا البيان أصبحت جميع نقدات الأستاذ (ما عدا حدته ونحوها) مردود عليها من غير تعيين. والقارىء اللبيب يفهمها اذا راجع المقاليز. ويمكنه أن يعلم من منا مشوّه الحقائق.

بقيت ملاحظة صغيرة وهي أن الاستاذ يقول في وسط الصفحة الثانية من مقاله « إن الذرات مركبة من الكترونات وبروتونات وبوزترونات » ولعله يريد أن يقول نيوترونات بدل بوزترونات فكانت هفوة قلم . الذرة يا أستاذ مؤلفة من بروتونات ونيوترونات في النواة والكترونات (ما عدا الهيدروجن الخفيف فليس فيه نيوترونات) . وأما البوزترون فليس من بنية الذرة بتاتاً بل هو شظية من البروتون انسلخت منه مختلسة شحنته الايجابية في إثناء العمليات العلمية وربما في أثناء انفجار ذرات العناصر الشاعة كالراديوم. ويقال إنه وجد في الأشعة الكونية وكتلته بقدر كتلة الالكترون وإنما شحنته إيجابية .

وقد استحدثه الأستاذ أندرسن معهد التكنولوجي في كاليفورنيا منذ سنة ١٩٣٢ . وكوري وجوليو وجدا أن الألومينوم ينفث بوزترونات اذا قذف بذريرات الفا من الراديوم وهو قصير العمر جدًّا . ومتى انسلخ البوزترون من البروتون يتركه بلا شحنة كهربائية فيصبح هذا نيوترونا. ويقولون إن النيوترون نفسه اذا انضم إليه بوزترون يصبح بروتونا.

هذه نظرة عامة في مقال الأستاذ جميعان اذ ليس في الامكان الوقوف عند كل نقطة لكي أشير الى ما فيها من التشويه للحقيقة والى ما فيها من الصواب الذي استفدته منه. فشكراً له .

أما الأستاذ الشرايحه فليس أقل من الأستاذ جميعان تحقيقاً وتعليماً وإفادة . ولا أرى لزوماً للاسترسال في مناقشته لئلاَّ تصبح المناقشة قلمه وقلمنا وقلمنا وقلمه . وما كتبناه كفاية للقراء وفيه كثير من الفائدة لهم ولي ،وقد اطلعوا على قولينا فلهم أن يحكموا بما له وبما عليَّ.

وهو يعاتبني على كلمة «يخلط» وقد راجعت الجملة التي وردت فيها فوجدت اني لم أعن ما فهم بل عنيت يمزج أو نحو ذلك . ومع ذلك أعتذر له إذا كانت الكلمة قد ساءته .

وإنما لا يسعني أن أغفل قضية السحَر التي خطأني بها . فهو يرى انه قبض عليَّ متلبساً بالجريمة وحكم عليَّ حكماً صارماً إذ ألقى عليَّ المسؤولية حتى ولو كان الخطاء مطبعيًّا .

بالطبع ليس الخطأ مطبعيًّا فقد قلت إن السعر هو ارتفاع حرارة الكيلو جرام من الماء درجة واحدة . وفي يقين الأستاذ هو جرام فقط . ولا يمكن أن أكون قد استنبطت هذا التعريف للسعر استنباطاً . لا بد أن أكون قد قرأته في كتاب ، ولكن أي كتاب ؟ لا أتذكر . وأن أعود للبحث والمراجعة فهو أمر يطول بحثه ولم يكن في امكاني، فاستسلمت لحكمه . ولكن بقي الأمر يشغل بالي . وبالأمس قلت لنفسي لماذا لا أستفتي معجماً . فتناولت قاموس وبستر طبعة شركة مريم وشركاه في سبرنغفيلد من ولاية ماستشوستس في أميركا طبعة سنة ١٩٠٩ . وقد اختصره بعض ثقات في اللغة من قاموس وبستر العالمي الكبير لكي يستعين به طلبة الجامعات والكليات — واذا فيه نص صريح على السعر . أنقله بحروفه وقوسيه :

Calorie-Amount of heat equal to the amount required to raise the temperature of one Kilo gram (sometimes one gram) of water one degree centigrad .

وترجمته : السعر هو وحدة حرارية تساوي المقدار اللازم لرفع حرارة كيلو جرام (وأحياناً جرام واحد) من الماء درجة واحدة من مقياس سنتغراد .

ولا يخفى أن وضع (جرام واحد) ضمن قوسين يدل على ان الكيلوجرام أصيل والجرام دخيل . وبعد هذه الشهادة الصادقة صرت أرجو من الأستاذ الشرابحة ان يصدر عفوه عني ، ويلقي المسؤولية على قاموس وبستر أو الأساتذة الذين اختصروه من قاموس وبستر الكبير لفائدة طلبة الجامعات .

بقي على الأستاذ ان يدل القراء على الحالة التي يكون السعر فيها بالكيلوجرام والحالة التي يكون فيها بالجرام . وله الفضل على كل حال .

هذا آخر ما أكتبه في هذه المناقشة وليس في امكاني العودة الى كلام آخر . وإني أشكر للأستاذين جيمعان والشرابحه مناقشتهما ففيها فائدة لي وللقراء . والسلام عليهما .

أرجو من حضرة العلاَّمة الأستاذ اسماعيل بك مظهر رئيس تحرير المقتطف أن يسمح لي بتنبيه القراء الى اقتضاب وقع في وسط صفحة ٦٤ من كتابي جاذبية نيوتن الملحق بمقتطف يوليو . وهو « مساحة سطح الارض ومساحة سطح المشتري » . والمراد مساحة سطحي فلكيهما الكرويين كما هو مفهوم من سياق الكلام قبل هاتين العبارتين . والأمر لا يخفى على اللبيب .

نقولا الحداد

المجمل في اللغة

لابن فارس — مخطوط

عثرت فيما عثرت عليه من الكتب المخطوطة النفيسة على كتاب المجمل في اللغة لابن فارس وهو كتاب قيم طالما ذكره صاحب اللسان والفيروزبادي والزمخشري وأخذوا عنه واستقوا من ينابيع معينه الصافية وطالما تحدث عنه الرواة واللغويون ولا أستطيع أن أشرح مبلغ سروري حين عثرت عليه وطفقت أقلبه بين يدي وقد كتبت نحواً من خمسمائة مجلد من المخطوطات فما بلغ سروري بها المبلغ الذي وصلت اليه بهذه النسخة .

الكتاب جميل جدًّا ومشكول بصورة متقنة حتى لا يكاد القارىء يعثر فيه على خطأ في القواعد ولا على خطأ في الشكل وهو بالقلم النسخي الفصيح وكأنه كتب بقلم واحد من أوله الى آخره لم يغيره الكاتب حتى أتى على آخره ولعلَّ هذه النسخة هي الوحيدة ضبطاً واتقاناً .

***

يقع المجمل هذا في خمسمائة وإحدى وعشرين ورقة أي في الف واثنتين وأربعين صحيفة الجزء الأول منه في أربعمائة وتسعين صحيفة والثاني في خمسمائة واثنتين وخمسين صحيفة وكلاهما في مجلد واحد لا ينتقص حرفاً واحداً فلم تصل اليه يد الزمان بالبلى والفساد على طول العهد وتكرار الليالي . الأول يبتدىء بباب الألف وينتهي بباب الصاد والثاني يبتدىء بباب الضاد وينتهي بباب الياء وما بعدها مما هو على ثلاثة أحرف. الكتاب من كتب المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم ٨٣٩ من القطع الوسط طوله ٢٥ سانتيماً وعرضه ١٧ س وعمقه أو سمكه ٩ س وطول المكتوب من كل صحيفة بعد ترك الحاشية ١٨ س وطول السطر المكتوب ١١ س والصحيفة تشتمل على تسعة عشر سطراً والسطر يحوي نحواً من اثنتي عشرة كلمة والكلمة التي يراد شرحها والبحث عنها كتبت على الهامش بالقلم الأحمر .

وقد كتب على ظهر الصحيفة الأولى ما نصه :

الأول من كتاب مجمل اللغة تصنيف أبي الحسين احمد بن فارس الرازي رحمه الله وأول الصحيفة منه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد وليك الله بصُنعه وجعلك ممن علت في الخير همته وصحت فيه طويته فانك لما أعلمتني رغبتك في الأدب ومحبتك لعرفان كلام العرب وإنك تسامحت الأصول الكبار فراعك ما أبصرته من بعد تناولها وكثرة أبوابها وتشعب سبلها وخشيت ان يلفتك ذلك عن مرادك وسألتني جمع كتاب في ذلك يذلل لك صعبه ويسهل عليك وعره أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب يقل لفظه وتكثر فوائده ويبلغ بك طرفاً مما أنت ملتمسه وسميته مجمل اللغة لأني أجملت الكلام فيه اجمالاً ولم أؤكده بالشواهد والتصاريف ارادة الإيجاز . فمن مرافقه قرب ما بين طرفيه وصغر حجمه ومنها حسن ترتيبه وفي ذلك توطئة سبيل مذاكرة اللغة ومنها أمن قارئه المتدبر له من التصحيف وذلك اني خرجته على حروف المعجم فجعلت كل كلمة أولها همزة في كتاب الهمز وكل كلمة أولها باء في باب الباء حتى أتيت على الحروف كلها فاذا احتجت الى الكلمة نظرت الى أول حروفها فالتمستها من الكتاب الموسوم بذلك الحرف فانك تجدها مصورة في الحاشية ومفسرة من بعد فأولها كتاب الألف .

باب الألف وما بعدها في الذي يقال له المضاعف .

وقد تسمى الألف ها هنا همزة .

وآخر الجزء الثاني ما نصه :

وهذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب أبوابه واعلم إني توخيت الاختصار كما أرغب وآثرت الايجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعاً ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالاً ولكني عمدت للأصول التي أسميتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأقربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كافياً في بابه مستعيناً في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والألفاظ التي يستعان بها في الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه (متخير الألفاظ) والله أسأل أن يوفقنا وإياك لكل صالحة ويعيذنا وإياك من السوء كله .

تمّ الكتاب والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على عبده ورسوله سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً .

***

وقع الفراغ من نقله غرة جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسماية رحم الله من دعا

لكاتبه بالرحمة .

لم أجد في آخره اسم الناسخ جرياً على عادة النساخ بل جاءت هذه النسخة خلواً من إسم الناسخ كما رأيت .

ولم أجد على ظهر الكتاب ما يصح أن يذكر سوى هذين البيتين نسباً الى صاحب المجمل وهما .

مرت بنا هيفاء مجدولة ترکية تنمى لتركي
ترنو بلحظ فاتر فاتن أضعف من حجة نحوي

وهذان البيتان ذكرهما ابن خلكان في ترجمة ابن فارس وذكر له قطعة تدل على ما كان يلازم نفسه من هم مبرح وانه كثيراً ما لم يصل الى ما يحتاجه وقد لزم دفتره وكتابه ولم يفارق سراجه الذي يستضيء به في أثناء مطالعته وكتابته ولم يجد له أنيساً في لياليه الطويلة هذه سوى هرته التي كان يأنس بها إذا ما جن ليله وخلا بكتابه وهي .

وقالوا كيف حالك قلت خير تقضي حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوقي السراج

ويقول ابن خلكان كان ابن فارس إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة فانه أتقنها وألف كتاب المجمل في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً وله كتاب حلية الفقهاء ومنه اقتبس الحريري وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات وله شعر حسن انتهى .

ويذكر جرجي زيدان في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠٩ إنه توجد نسخ خطية من كتاب المجمل في برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطاني وأكسفورد ويني جامع وكوبرلي وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط .

***

هذا وقد كان أخي العلامة السيد محمد سعيد النعساني مفتي حماه حالاً ذهب الى مصر قبيل الحرب العامة وباشر نسخ كتاب المجمل هذا من المكتبة الخديوية . (بعد أن قام بطبع التصريف الملوكي) يريد طبعه ونشره بعد ضبطه ووضع حواش عليه ثم حدث له ما شغله عن عزمه فقفل راجعاً الى حماه والنسخة هذه تحت رقم ١٨ لغة ح خصوصية عمومية ٤٢٨٤٨ جاء في آخرها ووافق الفراغ منه يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستماية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ويحسن بي أن أذكر صورة عنوان هذه النسخة وهي :

الجزء الأول من كتاب مجمل اللغة تأليف الشيخ أبي حسين أحمد بن فارس بن زكريا رحمة الله عليهم .

قرىء على الأجل العالم شرف الدين أبو الحسن الأشرف بن يحيى بن محمد بن أبي السطين العلوي أدام الله تأييده ونفعه بالعلم. جمع هذا الجزء من مجمل اللغة وعارضته بأصلي قراءة ضبط وتصحيح ومعرفة وعلم . قرأته على الشيخ الامام العالم أبي الحسن علي بن عبد الرحيم اللغوي المعروف بابن العصار رحمه الله وخبرني أنه قرأه على نسخة حجة الاسلام أبي منصور موهوب بن احمد الجواليقي رحمه الله وأخبره أنه قرأه على شيخه ابي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي تصحيحاً وأخبره انه أجازه له الفقيه سليم بن أيوب الرازي وكان لقبه منصوراً وأخبره أنه قرأه على أحمد بن فارس مؤلفه بالري وسمعته يقرأ على شيخنا حجة الاسلام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الحساب رحمه الله فرواه لنا عن الشيخ المصري أبي دلف هبة الله بن محمد بن علي بن الحسن عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي عن أبي القاسم سعد بن علي الزنجاني الفقيه عن القاضي أبي عبد الله الديباجي وأبي الفرج الفارستاني عن ابن فارس . وكتب مصدوق بن سبيب بن الحسن بخطه في ثاني عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وخمسماية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

* * *

وقد وجدت ورقة ملصقة في هذه النسخة من المجمل ما صورتها بالحرف : هذه الجزازة وضعت في الكتاب تبياناً لما يأتي على حواشيه من علامات يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ما على الحاشية مكتوب نسخه س أو خ ش أو ش فهو نسخة السماع وما يكون في الأصل أو على حاشيته لا الى د فهو غير السماع وقد يقع في نسخ ذكره وما يكون في ج في حاشية وما يكون على الحاشية خط ز ك فهو بخط أبي زكريا التبريزي وما يأتي بخط ش ج فهو بخط هبة الله بن الشجري العلوي النحوي — وما يكون خ فهو من نسخ وقع الاعتماد على صحتها وعلى الجواشي بخط ج أشياء لم يذكرها أحمد بن فارس رحمه الله انتهى وتوجد أيضاً نسخة في الدار المذكورة مخطوطة سنة ٥٦٥ هـ بها تقطيع ونقص من آخرها تحت رقم ٣٨٢ .

وتوجد من قطعة في الدار المذكورة مخطوطة بخط قديم بها تقديم وتأخير تحت رقم ٢٣٨ وقد وقع الأستاذ السيد أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية بدمشق على نسخة من كتاب المجمل في مدينة حماه في بيت آل لطفي وهي بقطع الربع تشتمل الصحيفة على خمسة وعشرين سطراً جاء في آخرها فرغ من انتساخها .... بن عبد الجبار في شهر ربيع الآخر سنة

ثمانين وخمسمائة غير أن هذه النسخة شاهدتها مخرومة من أولها ومن وسطها وخطها ركيك جداً وهي في مجلد واحد صغير .

وذكر لي أن في بيت الشطي في دمشق جزءاً من المجمل لم أبحث عنه .

وجاء في معجم المطبوعات أن طبع الجزء الأول من هذا الكتاب على نفقة محمد ساسي المغربي ولم أطلع عليه.

ذكره صاحب كشف الظنون فقال مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني اللغوي المتوفي سنة ٣٩٨ اعتبر الأبواب في أوله والفصول في غيره كالمغرب والتزم فيه الصحيح والواضح من كلام العرب دون الوحشي والمستنكر وآثر فيه الايجاز وعليه كتاب مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي صاحب القاموس أورد فيه الف سؤال وأخذه عنه مع ثنائه عليه وحبه له وذكر البرهان الحلبي ان صاحب القاموس تتبع أوهام ابن فارس في المجمل في ألف موضع مع تعظيمه له وثنائه عليه .

***

ولقد كان أستاذنا العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري حريصاً جد الحرص على طبع كتاب المجمل هذا وهو الذي حرض سماحة مفتي حماه على طبعه ووضع حواش عليه حتى باشر بنسخه كما ابنت وكان يرغب أن تلحق بالمجمل الكلمات التي أغفلها ابن فارس كالكلمات الموجودة في ديوان الحماسة ونهج البلاغة ومقامات الحريري وخطب ابن نباته وغريب الصحيحين البخاري ومسلم. أما غريب البخاري فيوجد في مقدمة فتح الباري وغريب القرآن للأصفهاني . وأمهات دواوين الأدب وهي أربعة الكامل والأمالي والبيان والتبيين وأدب الكاتب :

وغريب الدواوين الثلاثة ديوان ابي تمام — والبحتري والمتنبي. هذا ولعل دار الكتب المصرية تقوم بطبع هذا الكتاب معتمدة على نسخة المكتبة العثمانية الحلبية هذه وغيرها في التصحيح فلا يستغنى عنها وان تعنى بالحاق الكلمات المغفلة من الكتب المذكورة وغيرها به وتنظر فيما أخذه الفيروزبادي على المجمل وتمحص هذه المآخذ وفي ظني اذا أخرج للناس في (ظل الملك فاروق ملك مصر المعظم) بحلته القشيبة وبطبعته الممتازة وفهارسه المتنوعة على الطريقة التي تنهجها دار الكتب في طبع النفائس كان الاقبال عليه فائقاً والنفع شاملاً وفقنا الله لإحياء آثار سلفنا الصالحة النافعة بمنه وكرمه .

حلب طاهر النعسانى الحموى

بنو اسرائيل واليهود

وعلاقتهم بفلسطين العربية

شغلت المسألة الفلسطينية العالم كله تقريباً في السنوات الأخيرة ، واشتدّ الاهتمام بها في هذه الأيام .

ولا يعنيني في هذه المقالة شيء يتعلق بالسياسة ، ولكني أعني بالمسألة التاريخية فقط .

ومما لا شك فيه أن للصهيونية آراء متطرفة ، وآمالاً واسعة ، لعلها تشمل فلسطين وغيرها من التخوم المحيطة بها !

ذكر الأستاذ مصطفى مرعي بك المستشار في مقال له نقلاً عن كتاب فلسطين لليهود لمؤلفه ن . بنسوتسن . ما يأتي « ان الحضارة اليهودية يمكن أن تمتد حتى تشمل جميع الأراضي التي تضمنها الوعد ، من البحر الأبيض إلى الفرات ومن لبنان إلى نهر النيل . فهذه هي معالم الأرض التي وعد بها الشعب المختار » .

ولقد استنكر بعض اليهود الخلّص آراء هؤلاء الصهيونيين وآمالهم ، وبعضهم هاجمهم بالفعل ولست أبالغ اذا قلت أن كثيراً من سوء الظن وعدم التجانس يقوم بين اليهود الشرقيين وبين الصهيونيين النازحين من أوربا وأميركا وكثير من هذا مبعثه احتقار وازدراء من الصهيونيين لليهود الشرقيين ، وتوجس من الشرقيين للصهيونيين المتغطرسين .

على أن الناحية التي تعنيني من الوجهة التاريخية هي صلة بني اسرائيل خاصّة واليهود عامة ، بفلسطين العربية ...

ولعله من المناسب أن نذكر هنا بعض آراء متطرفي الصهيونيين في دعوتهم الاحقية بفلسطين . قبل أن نثبت تاريخياً انه لا صلة لهم بها مطلقاً ، إلاّ صلة الدخيل الثقيل أو العابر المتسكع !

فمن تلك الآراء الغريبة ما صرح به أحد زعماء الصهيونيين — جابولنسكي — أمام لجنة شو

وهو يقول انه يجب أن تقوم في فلسطين أغلبية يهودية حتى تسود وجهة النظر اليهودية دائماً . ويجب أن تؤسس فيها دولة يهودية . وان تكون أراضيها وقفاً على اليهود يتصرفون فيها كما يشاءون لأنها بلدهم القديم .

ومثل هذه الآراء كثيرة متعددة نشرها ونادى بهـا عديدون من رؤوس الصهيونية في العالم .

ومن الكتب الكثيرة التي قرأتها أخيراً كتاب عنوانه دليل فلسطين قصد به واضعه الصهيوني المهاجر أن يكون دعاية لليهود في فلسطين العربية ، وتمجيداً لنهضتهم بها . . .

وقد لفت نظري كثير من الحقائق التي وردت في هذا الكتاب ، وهي تعتبر دعاية ضد اليهود لا لهم وضد مجنديهم . فحق اليهود في فلسطين يشبه تماماً حقوق المسلمين في اسبانيا استعمرت فلسطين قبل التاريخ الحجري ، أي منذ مائتي ألف عام قبل الميلاد ، كما دلت الآثار البائدة التي فيها .

ونلخص بعض الحقائق التاريخية ، وبعض الاحصائيات الرسمية الحكومية ، فنرى ما يأتي:

(١) — لم يدخل اليهود فلسطين الاّ في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، عند ما هاجمت قبائلهم الكنعانيين .

(٢) — ا — كان عدد العرب في عام ١٩٢٢ خمسمائة وتسعين ألف نسمة ، أي اكثر من ثمانية وسبعين في المائة من عدد السكان .

ب — كان عدد اليهود في نفس العام قرابة أربعة وسبعين ألفاً ، أي بنسبة أحد عشر في المائة من السكان .

جـ — كان عدد المسيحيين العرب ثلاثة وسبعين ألفاً ، أي تسعة ونصفاً في المائة تقريباً ، من عدد السكان .

(٣) — ا — في سنة ١٩٤٠ زاد عدد العرب الى تسعمائة وثلاثة وأربعين ألف نسمة ، ولكن نسبتهم المئوية ضؤلت حتى صارت واحداً وستين في المائة من عدد السكان .

ب — ارتفع عدد اليهود فصار أربعمائة وستين ألفاً ، أى بنسبة ثلاثين في المائة من السكان .

جـ — صار عدد المسيحيين العرب حوالي مائة وعشرين ألفاً ، أي اضمحلت نسبتهم المئوية كنسبة المسلمين فصارت صبعة وثمانية أعشار في المائة من عدد السكان .

(٤) — ا — كان عدد الذين هاجروا الى فلسطين ما بين عامي ١٩٢٢ — ١٩٣٠ . تسعين ألف صهيوني .

ب — ارتفع هذا العدد ارتفاعاً هائلاً ، ما بين عامي ١٩٣٠ — ١٩٤٠ فصار ثلاثمائة وثلاثين ألف نسمة .

***

ولسنا نعلم بالدقة كم هو عدد الذين هاجروا الى فلسطين منذ عام ١٩٤٠ حتى الآن ... ولكننا لا نكون مبالغين اذا قلنا أنه عشرات وعشرات الألوف !

ومن الطريف في أمر ذلك الكتاب اعتباره السامريين غير يهود ! فهو يضعهم في جانب الأجناس والأديان الأخرى ، غير العرب المسلمين . واليهود ، والمسيحيين العرب ، بذلك الترتيب المتقدم !

وبعد هذا الترتيب الغريب ، يحلل المسيحيين الى أحد عشر عنصراً نصرانياً . ويأتي بعد ذلك أصحاب المذاهب الأخرى وأولهم : الدروز ، والبهائيون ، ثم السامريون ، فالوثنيون !

***

ولنتحدث الآن عن تاريخ دخول اليهود فلسطين ، وما هي حقوقهم فيها ، وصلتهم بها مستندين في ذلك الى كتبهم المقدسة أولاً ، وكتب التاريخ القديم ثانياً .

اليهود هم قوم (خابيرو) أحد الشعوب الآسيوية ، وقد نشأوا قبائل تائهة مشرّدة تحدرت من جنوب آسيا الشمالي الغربي ، وارتحلت ما بين شمال العراق والشام ومصر والحجاز حتى صار لهم بعض الشأن في مصر أيام يوسف الذي اشتراه فرعون مصر ، كما هو معروف. ثم جاء النبي موسى وهم مضطهدون بين المصريين فخرج بهم من مصر وظلوا تائهين أربعين سنة في التيه لا يعرفون لهم مقراً ولا بلداً ينزلون فيه ... حتى النبي موسى لم ير فلسطين .

فلما مات موسى عليه السلام وتولى يوشع أمر اليهود من بعده أتى بهم الى نهر الاردن ثم دخلوا أريحا بسيوفهم ومنها الى نابلس ثم صاروا يعملون في بلاد الشام نهباً وسلباً بحد

السيف . ثم طغوا وبغوا وعصوا الله فسلط عليهم سوط عذاب فاستعبدهم الملك كوشان حاكم إحدى الممالك المجاورة . وخلصهم بعد ذلك أحد ملوكهم ولكنهم عادوا الى البغي مرة أخرى فهبّ عليهم أهل فلسطين الأصلاء ودحروهم واستعبدوهم أربعين سنة ، حتى قام في اليهود شمشون الجبار ، ولكن الفلسطينيين ، هزموهم أيضاً وقبضوا على شمشون وحكايته معروفة ...

وظلت الحروب قائمة بين الفلسطينيين واليهود سنوات طويلة بعد ذلك ، حتى حكم الملك داود اليهود ، فانتقل الى القدس وفتح فتوحات كثيرة في فلسطين والشام وعمان وبلاد الأرمن . وحكم من بعده الملك سليمان الحكيم ، وجاء مَنْ بعده من الملوك اليهود فأقاموا في فلسطين ، حتى طردهم (سلمناصر) الى خراسان ... ثم عادوا .

ثم جاء (بختنصر) الذي قبض على ملوكهم وأحرق القدس وهدم البيت الذي بناه سليمان الحكيم وأحرقه ودمر مدنهم و (أباد بني اسرائيل قتلاً وتشريداً وتعذيباً) ، وخلص فلسطين وبلاد الشام الأخرى منهم وأبقاها سليمة خالصة لأهليها الأصلاء ...

ويجدر بنا أن نذكر هنا بعض ما ذكره ابن مسكويه في تجارب الأمم : ان بعض اليهود الذين سلموا من مذبحة بختنصر هرب الى الحجاز ، وبعضهم الى مصر ، واستجار هؤلاء بفرعونها فطلبهم منه بختنصر قائلاً هؤلاء عبيدي فرفض فرعون مصر تسليمهم وقال ليس هؤلاء بعبيد ولكنهم قوم أحرار ... وكان ذلك سبباً في مهاجمة بختنصر لمصر وانتصاره عليها !

وعاد بعض هؤلاء الهاربين الى فلسطين ، ولكنهم شتتوا وأحرقت ديارهم كما خرب بيت المقدس مرة ثانية على يد طيطوس الروماني) ولكنه كان خراباً أبدياً لدولتهم ، فقد أزال ملكهم زوالاً لا رجعة بعده ونهب القدس وخرب البيت وأحرق الهيكل وأباد كتبهم ، وخلا القدس منهم — كما يقول أبو الفدا — كأن لم يغن بالأمس ، ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم ، وأسر اليهود كلهم وقتلهم عن آخرهم إلاّ من اختفى منهم أو كان شريداً في بطاح الأرض وبين مناكبها ...

وعادت فلسطين مرة أخرى خالصة لأبنائها الأصلاء . . .

وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء الذين أبيدوا هم اليهود الاسرائيليون ، أي بنو اسرائيل ، ولم يبقَ منهم إلاّ نفر قليل ... قال أبو الفدا في تاريخه : « واسرائيل هو

يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهم السلام . وكان لاسرائيل المذكور إثنا عشر ولداً وجميع بني اسرائيل هم أولاد الاثنى عشر المذكورين » .

فهؤلاء هم الاسرائيليون ، وهم المندثرون تقريباً ...

وأما اليهود عامة فهم كما قال أبو الفدا نقلاً عمن تقدمه من المؤرخين : « . . . وأمة اليهود أعم من بني اسرائيل ، لأن كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ولم يكونوا من بني إسرائيل ، وإنما بنو اسرائيل هم الأصل في هذه الملة . وغيرهم دخيل فيها فلذلك قد يقال لكل يهودي اسرائيلي » .

هذه حقائق يعرفها الصهيونيون أنفسهم . وقد عاش بعضهم في فلسطين ، وبعضهم في بلاد العرب ، وبعضهم في مصر ، وبعضهم في العراق وفي الشام ، وفي بلاد الارمن ، وفي خراسان وغيرها وغيرها . فاذا صحت دعوتهم في الأحقية بفلسطين ، صحت دعوتهم بأي بلد آخر من البلاد التي استوطنوها من قبل ، وفيها مصر !

لقد دافع عنهم فرعون من فراعنة مصر مرة ، وحارب (بختنصر) من أجلهم ، وهزم ذلك الفرعون بسببهم ...

كما أن فرعون آخر طردهم قبل ذلك من مصر ، فما هو السبب ؟

لقد رأى ذلك الفرعون أنهم خطر على مصر كما هم خطر على كل شعب يعيشون بينه ، وخطر على كل دولة يسكنونها ، فطردهم من مصر ليأمن شرهم ...

ونوضح ذلك فنقول : وفد بنو اسرائيل على مصر أيام حكم الهكسوس طلباً للرزق ، كما كانت عادتهم من قبل ذلك مراراً عديدة ، كما حدثت التوراة ، في سفر التكوين...وقد ساعد حكم الهكسوس لمصر على دخول أسرة يعقوب العبرانية اليها ، كما ساعد قبائل أخرى من غير العبرانيين على دخول مصر ، وقد ظلوا فيها مدة غير قصيرة ، وعلى ما تذكر التوراة أنها كانت أربعمائة وثلاثين سنة . ولكن هؤلاء الطامعين الطامحين كانوا عبيداً للمصريين .

جاء في التوراة ، سفر الخروج ، الاصحاح الأول ، عن ملك مصر الذي قال لشعبه على بني اسرائيل : « هلمَّ نحتال لهم لئلاَّ ينمو فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم

فبنوا لفرعون مدينتي مخازن ورعمسيس . . . واستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف . ومرَّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل . كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً » . . .

ومما يقرر أنهم كانوا عبيداً وخدماً للمصريين ، وما جاء في الاصحاح الرابع عشر من السفر المذكور ، إذ قالوا لنبيهم موسى يعاتبونه عند ما خرجوا من مصر ولم يجدوا قوتاً كما وعدهم : « . . . لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية » ! . . . وغير هذا الكلام في ذلك السفر وغيره كثير . . .

وكان الفرعون الذي طردهم من مصر ، ولعله منفتاح ، صادقاً في نظرته اليهم ، فقد كان اليهود وهم بنو اسرائيل يمالئون أعداء مصر ويأتون معهم ضد المصريين ، شأن الذين لا وطن لهم ويريدون أن يستتبوا في أي بلد بأي ثمن !

وكان منفتاح في حروب دائمة مع الليبيين والآسيويين ، تخشي على ملكه من بني اسرائيل فطردهم . . . ولكنهم لم يكونوا ذا وطن يعرفونه ، ولا بلد محدود نشأوا فيه ، فيمموا وجهة سيناء مخترقين الصحراء الشرقية ، وكان ما هو معروف من ضلالهم في التيه أربعين سنة ثم هجومهم على الكنعانيين في فلسطين . . . كما جاء في سفر الخروج ، الاصحاح الثالث : « فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحيثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً » .

وفي هذا السفر ما يصوّر أخلاق القوم تمام التصوير ! فقد صور كيف سلبوا المصريين . جاء في نفس الاصحاح : « . . . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين » .

وقد كرر هذا الكلام في الاصحاح الحادي عشر من نفس السفر ، وفي الاصحاح الثاني عشر أيضاً ، حتى تمت المعجزة ، وسرقوا أمتعة المصريين . . .

وكان حينئذٍ ما تقدم من نزولهم أرض كنعان ، وحروبهم ، وتشتيتهم مرة بعد أخرى حتى أبادهم (طيطوس) ابادة تكاد تكون تامَّة . . .

فكيف إذن بقي هؤلاء اليهود ؟

قلنا انه لا شك في أن اليهود الذين أبيدوا هم أكثرية بني اسرائيل الذين قاموا بالدعوة اليهودية ، أما من بقي منهم فهو إما اسرائيلي هارب شرد من تلك المذابح ، أو من الأجناس الأخرى كالفرس والروم الذين اعتنقوا اليهودية وتقدم ذكرهم . . .

***

وقد انقسم اليهود مذاهب شتى . . .

قال أبو الفدا في كتابه أيضاً :

« . . . وافترقت اليهود فرقاً كثيرة ، (فالربانيـة) منهم كالمعتزلة فينا ، و (القراؤون) كالمجبرة والمشبهة فينا ، ومن فرق اليهود (العانانية) ، نسبوا إلى رجل منهم يقال له عانان ابن داود . . . . . . وأما (السمرة) فمنهم فرقة يقال لها الدستانية ، وتسمى الدستانية أيضاً الفانية ، ومنهم فرقة يقال لهـا (كوشانية) . . . ولليهود أعياد وصيام ، فمنها (الفسح) ، وهو اليوم الخامس عشر من نيسان اليهود . وهو عيد كبير . . . الخ . . . الخ . . . »

هذا ما ذكره أبو الفدا وغيره من قدماء المؤرخين . . . كما ذكر شيء شبيه بهـذا عن السامريين في التوراة ، سفر الملوك الأوّل الاصحاح السادس عشر . . .

والعجيب في أمر واضع الكتاب الانجليزي الذي ذكرناه في رأس المقالة ، اعتبـاره (السمرة) ، أو السامريين ، غير يهود ، بل اعتبارهم كالمنبوذين في فلسطين . . .

وقد قدّر عـددهم بما بين مائتين ومائتين وخمسين نسمة فقط ، ولـكنه يعترف بأنهم من أسباط يهوذا ، وقد طردوا من أورشليم أيام حكم نحميا ، فاستوطنوا جبل السامرة ، وهم لا يؤمنون إلاّ بأسفار موسى الخمسة ، التي يحفظونهـا في ترجمة خاصّـة في لغتهم العبرانيـة باللهجة القديمة ، ويسمونها التوراة ، ويعيشون في نابلس ، وهم فقراء جدّاً . . .

هؤلاء هم السامريون . . . السلالة القـديمة الباقيـة من اليهود في فلسطين بل السلالة القديمة التي لا يرقى الشك إلى نسبتها لأصلاب الاسرائيليين في العالم كله . . .

ولعله من الطريف حقـاً أن تعلم إن صلة الصهيونيين باليهودية الخالصـة مقطوعة بل معدومة ! فقد تقـدم كيف ينظرون إلى السامريين نظرتهم الى أهل ملة أخرى ، بل كيف

يضعونهم في ذيل أصحاب الملل الأخرى ، في صف واحد مع الوثنيين !

ولعلّ هذا حق من وجهة النظر الصهيونية ، فهم ليسوا يهوداً خلّصاً — اسرائيليين — ولا هم يريدون احياء عرش آبائهم وأجدادهم في فلسطين كما يدعي البعض ، ولكن نزعتهم سياسية واستعمارية محض ...

فمن هم هؤلاء السامريون الذين يبرأ منهم الصهيونيون الآن ؟ .

أما أن السامريين يهود فهذا ما لا شك فيه . فهم يحتفظون بعادات اليهود القديمة ، وأعيادهم القومية ، ومن ذلك عيد الفصح على التقليد الذي ذكرته التوراة ، وهو يوافق اليوم الذي نجوا فيه من مذلة المصريين وخرجوا من مصر . وهذه الكلمة ، كما ترجمها القدماء . فسح ، أي فصح كما نعرفها اليوم . مأخوذة من العبرية — بيصح — وهي تعني المرور أو العبور ، وهي كذلك تعني في الانجليزية المرور أو العبور Passover وهم يقصدون بها الخروج من مصر . . . وهم في هذا العيد يقدمون الضحايا والقرابين ...

جاء في سفر الخروج وصف دقيق لهذا التاريخ ، وللقرابين التي تقدم ، فهو أول شهور السنة ، وفي العاشر منه تذبح القرابين . ويأكلون لحمها مشوياً على النار مع فطير ، ولا يبقوا منها شيئاً للصباح ، والنزيل والأجير لا يأكلان منه ، ولا يخرج لحم من البيوت الى الخارج ، ولا يكسر عظمة ، ولا يذوقه أغلف ، وأن تكون علامات القربان وأوصافه كذا وكيت ، الى آخر هذه التعاليم ...التي لا يعمل بها أحد من الصهيونيين الذين يريدون إحياء ديانتهم في فلسطين !

وإليك ما جاء في مجلة (البريد المصور) الانجليزية عن هؤلاء السامريين ، في أحد أعداد ابريل من العام الماضي ، بعنوان : (السامريون يحفظون عيد الفصح ، ويحتفلون به) قال الكاتب : « في اليوم الرابع عشر ، بعد ظهور القمر الجديد في الشهر الأول ، وهو يوافق مارس أو ابريل بالتقويم الاوربي ، تقوم البقية الباقية من السامريين بتأدية أقدم شعار ديني عرفه الانسان وهم يحتفلون بهذا الشعار فوق قمة جبل جرزيم ، الذي يبلغ ارتفاعه اكثر من ألفين وثمانمائة قدم من سطح البحر . وهؤلاء السامريون هم كل من بقي من الفرق ، أو القبائل العشر ، من بني اسرائيل . وقد اقتسموا فلسطين قروناً طويلة مع إخوتهم اليهود ،

وهم ينحدرون من فرقةيهوذا ، ولم يبقَ منهم اليوم إلاّ أقل من مائتي شخص ، يعيشون جميعاً في مدينة نابلس ، في ظل معبدهم القديم . وهم لا يشعرون بمجدهم الزائل إلاّ مرة واحدة كل عام ، عند ما يصعدون على قمة الجبل المذكور ليحتفلوا بعيد الفصح ، في نفس المكان الذي احتفل به آباؤهم منذ أجيال لا يحصرها التاريخ ... ... وليس لهم معبد اليوم ، ولكنهم يحتفلون بعيدهم على قلة الجبل الجرداء الممهدة . وقبل الاحتفال يخرجون جميعاً من منازلهم ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وينصبون خيامهم على قمة الجبل ، ويقومون بطقوسهم القديمة كما وصفها الكتاب المقدس (سفر الخروج الاصحاح الثاني عشر من اعداده الأول الى الرابع والعشرين) .

وهم يحفرون خندقاً ليستعملوه مذبحاً بأبعاد ومسافات خاصة . وفي الرابع عشر من الشهر ، عند ما تنحدر الشمس الى المغيب ، يشعلون ناراً في الخندق ، ويجهزون ماء يغلي . . .

ثم يقف كاهنهم الأكبر على إفريز ويقف الآخرون خلفه متراصين في صفوف بترتيب أعمارهم ، ويرتل الترانيم التي يقرؤها من سفر الخروج مشيرة الى احتفال أجدادهم الأول بتخليصهم من نير العبودية في مصر ، وخروجهم منها . أما الضحايا التي تقدم ، فيجهزونها قبل أيام من تاريخ العيد ، وهي حملان كما وصفها الانجيل . وهي الآن سبع ، ترمز كل ضحية منها الى عشيرة من العشائر السبع الباقية في هؤلاء السامريين . وقبل غروب الشمس تماماً ، يحيط الجمع الحافل حول المذبح ، حتى إذا بلغ الكاهن ترنيمته : (وتكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، ثم يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل في العشية) يأتي بالحملان شبان يرتدون ملابس بيضاً ونعالاً ، يحمل كل ثلاثة منهم حملاً ، فيكشف عليها الكاهن ليتأكد من خلوها من العلامات ، ثم يذبحها ، ثم يأخذون دماءها ويعلمون بها خيامهم راسمين شارة ملاك الموت . ويصفى الدم من الذبائح ، ثم تطبخ ويستريح البعض ، بينما يذهب المتفرجون الى خيام أخرى ومعهم بعض السامريين الذين يبيعون لهم القهوة . . . وعند انتصاف الليل يؤخذ اللحم ، ويكونون متراصين كما وصفت التوراة ، ويقشر اللحم بالأيدي ، ولا يتركون عليه نسيرة صغيرة . أما الفضلات ، والعظام ، فتحرق

جميعاً إحراقاً دينيـاً ، كما يأمر الـكتاب المقدس . وبعد ذلك يحتفلون في الصباح بعيد الفطير غير المخمر ، ويستمر ذلك سبعة أيام . ويقضون غالباً أسـبوعين فوق قمة الجبل ، وقد يولد لهم أطفال وهم يحتفلون بأعيادهم تلك . وهكذا يحتفل السامريون بطقوسهم القديمة ، احتفالاً بخروج أبناء اسرائيل من مصر منذ اثنين وثلاثين قرناً . . . » .

***

هذا بعض ما ذكرته المجلة الانجليزية ، وقد نشرت صوراً لهم وهم يصلّـون ، فترى في سجودهم وركوعهم ودعائهم وابتهالهم الى الله شبهاً تامـاً بصلوات المسلمين وركوعهم وسجودهم ودعائهم وابتهالهم .

ولقد آثرت أن أترجم هذا الـكلام الطويل . لأسأل هؤلاء الصهيونيين الذين يريدون استعمار فلسطين اليوم ، هل هم من أسباط أولئك السامريين ، أو الاسرائيليين ؟ أم هم أجناس أخرى لا يعلم أصولها غير الله ؟ وهل يحتفلون بما ورثوا عن (أجدادهم) أم أن دعاواهم مجرد تمحك وافتراء ليغتصبوا بلداً لا يمتون إليه بصلة أو نسب ؟

***

ومن الجهل أن يظن بعض المصريين ، والشرقيين عامة ، أن الصهيونيين ينحدرون من أصلاب من عاشوا في فلسطين من اليهود القدامى ، أو أنها بلادهم الأصلية ، التي خلقوا فيها وعاشوا بها ، وهذا خطأ . . . فلم يبق من اليهود الأصلاء غير بعض الأشتات في آسيا الغربية ، وغير هؤلاء السامريين الذين قدمنا فصلاً عنهم ، والذين يندثرون الآن ... وهم لم يأتوا من فلسطين نفسها ...

ولسنا نعلم عن غيرهم من اليهود من يحتفظ بتلك العادات والتقاليد والأعياد . كاحتفاظ السامريين والأشتات المتفرقة في آسيا ...

وادعاء اليهود الآخرين بحقهم في فلسطين لا يقوم على أساس من حق أو منطق . . . فقد ذكرت التوراة في غير موضع أن العرب الفلسطينيين كانوا يخشون سطوة الاسرائيليين

الدخلاء عليهم فيحتاطون منهم متحدين مع غيرهم من الشعوب الأخرى... وكان الفلسطينيون يحاربون بني اسرائيل ويهزمونهم هزائم منكرة . ذكرت التوراة كل هذا في مواضع كثيرة وبخاصة في أسفار الملوك وأخبار الأيام وصموئيل ...

واليهود المشردون في أنحاء العالم اليوم أو الصهيونيون ، هم غير بني اسرائيل الذين عاشوا في فلسطين قديماً ، وليسوا غير قوم رحل خلقوا بلا وطن ، وظلوا بلا وطن ، حتى هجس بهم الشيطان أن يدعوا حقهم في فلسطين ، وان يخرجوا العرب منها . وغداً يتجهون الى مصر ، والشام كله ، وبلاد العرب ، والعراق لأن بعض الاسرائيليين البائدين عاشوا في تلك البلاد ...

***

وإذا صحت هذه الدعوى ، فما أسهل أن يجمع المسلمون أمرهم في العالم كله — عرباً وغير عرب — ثم يتجهوا الى جزر البحر الأبيض ، وخاصة مالطة وصقلية ، ثم الى اسبانيا ، ويطلبوا احتلالها جميعاً ، لأن المسلمين قطنوها زماناً طويلاً ..!

وهو حق يشبه حق الترك في أوربا ، وحق الاغريق في مصر وايران والهند ، أو حق الرومان في مصر وفي انجلترا وفي فرنسا ، أو حق مصر في أمبراطوريتها القديمة والحديثة ، أو حق اسبانيا في أميركا — مثلاً — لأنهم حكموا تلك البلاد ... وغيرهم وغيرهم .

***

وقد تبين فيما تقدم انه لا صلة للصهيونيين بفلسطين العربية ، فأحرى بهم إذن أن يبحثوا عن مكان ناء غير معمور ، كنصف استراليا المهجور ، مثلاً ، ويستوطنوه ، فحقهم في أي بلد ، كحقهم في فلسطين تماماً ...

حسين المهدي غنام



مكتبة المقتطف

نفحات من سيرة السيدة زينب

ذلكم هو عنوان كتاب أصدره فضيلة الاستاذ احمد الشرباصي — وهو مدرس بالأزهر الشريف — ومن أدباء الشباب المبرزين .

ليس هذا الكتاب أول ما يصدر من مؤلفات الأستاذ الشرباصي فقد سبق أن أصدر عدة كتب أيام كان يطلب العلم على كرسي التلمذة فأصدر « حركة الكشف » و « محاولة » و « بين صديقين » وغيرها . واليوم يتحف العالم الاسلامي بكتابه النفيس هذا .

لم يقتصر الكتاب — على صغر حجمه [1] — على ذكر سيرة السيدة زينب وإنما حوى أموراً ذات شأن أوحت بها سيرة هذه السيدة العظيمة الشأن .

بدأ كتابه بذكر الاحتفال بالمولد الزيني ذاكراً فوائده ومزايا أمثال هذه المواسم الدينية التي « هي ذكرى تنبه الغافلين من المسلمين وهي فرصة لاستعراض صفحات من التاريخ الاسلامي الحافل بالعبر والعظات . . . » إلى غير ذلك مما فيه الخير للفرد والمجموع .

ولكن مما يؤسف له أن الأمر لم يكن خالياً مما يشوّه روعة هذه المواسم ويحط من شأنها ويقلل من قدسيتها ، هو ما يجري فيها من الجرائم والتحايل والدجل والشعوذة ، يقوم بها رجال ضعف الإيمان في قلوبهم واتخذوا من هذه المواسم تجارة رابحة لهم ومرتعاً خصباً لشهواتهم . ويتخذون من سذاجة عقول البسطاء وسيلة للوصول الى مآربهم وغاياتهم الدنيئة

---

١ — عدد صفحاته ٤٨

وأولئك الذين أقبلوا من كل حدب وصوب للزيارة لم يؤدوها على وجهها بل صارت لديهم ضرباً من الوثنية ومظاهر الشرك : « فتراهم يتمسحون بالأضرحة ويطوفون حولها كأنها الكعبة الحرام ويلثمون ستائرها كأنها ستائر عرش ربك ويلصقون صدورهم بأبوابها وحديدها ونحاسها كأنهـا الملجأ الواقي من السعير ، ويلصقون خدودهم بعتباتها ويعفرون وجوههم بترابها ويعلقون الخير والشر والثواب والعقاب برضى ساكني هـذه القبور وإرادتهم » .

هذا بعض ما جاء في الكتاب من وصف حالة الزائرين والزائرات لكل ضريح أو مقام في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية . وحقيق بكل مسلم موحّد أن يحارب هذه المظاهر الوثنية ، فقد بلغ هؤلاء الناس حدّاً من ضعف الإيمان بالله أن اتخذوا من ساكني القبور أرباباً من دون الله يخشونهم ويرجون خيرهم من دون الله ويبسطون أيديهم وألسنتهم بالدعاء وهم يتلون كتاب الله أو يسمعونه يتلى عليهم بواضح العبارة وفصيحه « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وفي آية أخرى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الدَّاعِ إذا دعانِ ... » وهم يستعينون بالأموات ويقول ربهم في كتابه العزيز « إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نستعين » .

واستطرد إلى أن الانسان يجب أن يكسب رضى الله بجده وعمله لا بحسبه وبغيره وبالدعاء والتوسل الى المقربين الى الله تعالى فليس يغنيه كل ذلك شيئاً .

***

وانتقل بعد ذلك إلى سيرة السيدة زينب ، فهي بنت أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه وأمها فاطمة الزهراء بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وشقيقها الحسين عليه السلام ، ولدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة بعد أخيها الحسين بسنتين وشهدت من حياة الرسول الكريم خمس سنوات ، فورثت أكمل الصفات وأجل المزايا من سيد الرسل ووالدها البطل المغوار .

ولما كبرت سنها ونما عودها تزوجت ابنَ عمها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو الذي ولد بأرض الحبشة حين الهجرة الأولى . وتوفي رسول الله وعمرها عشر سنوات .

وكانت السيدة زينب مثالاً للزوجة الفاضلة المخلصة فكان بيتها أهنأ بيت وأسعده وصار لها من الأولاد : علي ومحمد وعباس وعون وأم كلثوم وأم عبد الله ومات بعضهم في أول حياته وعمر آخرون .

وكانت رضي الله عنها جميلة الخلقة صبيحة الوجه كريمة اليد والنفس عالمة فاضلة فصيحة بليغة شجاعة جريئة مقدامة .

وحينما بدأ شقيقها الحسين رضي الله عنه جهاده كانت معه عوناً له تشد أزره وتقوم بكل ما يحتاجون إليه دائبة على العمل صابرة .

وعند ما وقعت الواقعة وصعدت روح الحسين الى الملأ الأعلى ظلت السيدة زينب رابطة الجأش وإن كان الحزن قد قطع نياط قلبها « وجاهدت في سبيل الله جهاد الصادقين وادّخرت أخاها عند مليك مقتدر » .

وحملها عمر بن سعد مع أخوتها وأبناء الحسين الى الكوفة فمروا بالحسين وأصحابه وهم قتلى فعلا العويل والصراخ منهم .

وجرت محاورة ومداورة بينها وبين عبيد الله بن زياد ، وكانت فيها سريعة البديهة قوية الحجة والمنطق تقرعه بلواذع العبارات .

ولم تنخدع بدموع التماسيح التي سالت عن أعين أهل الكوفة فوقفت بينهم مبكتة تقرعهم وتظهر كوامن نفوسهم الخبيثة ثم تعقب على ذلك سابّة لاعنة ، فاستدرّت بلاغتها الدموع فضجّ الناس بالبكاء وعضوا على بنان الندم .

ثم يأمر الطاغية ابن زياد بتجهيز الأسرى وفيهم السيدة زينب ، وترحيلهم الى الشام ، وهناك لقينَ ترحاباً من نساء يزيد .

ووقفت السيدة الفاضلة إزاء يزيد تذكره بآثامه وأعماله الشنيعة بتقريع وتأديب في خطاب طويل بليغ فكان ذلك سبباً في أن يأمر يزيد بإخراج الطاهرة زينب ومن معها الى المدينة . فخرج بهم الرسول معززاً إياهم مكرماً عارفاً لهم حرمتهم وكرامتهم .

وأخذت تؤلب الناس في المدينة على الأخذ بثأر الحسين ، فأحسّ اليزيديون بخطارها عليهم، فكتب بذلك إلى يزيد فأجاب بأن يفرق بينها وبين المدينة على أن تختار هي البلد الذي

تأوي اليه ، فاختارت مصر . وكان استقبالها في مصر عظيماً

وأقامت في مصر عابدة زاهدة حتى وافاها الأجل المحتوم في الرابع عشر من مساء السبت ليلة الأحد من شهر رجب سنة اثنتين وستين للهجرة . وأقام لها فقهاء مصر ووجهاؤها موسماً حافلاً بعد عام من وفاتها هو المولد الزيني الذي لا يزال يقام عندنا من أول شهر رجب إلى منتصفه في كل عام .

وتطرّق إلى ذكر الآراء والأقوال المختلفة في موضع ضريح السيدة زينب . وسرد ما نال هذا الضريح من اهتمام واحتفاء وتجديد بأيدي الملوك والأمراء الى عهد الملك فاروق اليوم .

وختم البحث بالدعوة إلى الوحدة والتآلف واتباع سنن الرسول وأن نتخذ من سير هؤلاء الصالحين والصالحات نبراساً نهتدي به في ظلمات الحياة الحالكة ودياجير الهوى والضلال وأن نتخلق بأخلاقهم ونهتدي بهديهم ونأتم بهم ونتخذهم قدوة لنا وإماماً في أعمالنا ، لا أن نتمسح بقبورهم ونقبل الأرض عند ضريحهم ونطيل اللحى ونقبع في الزوايا والتكايا كسالى لا خير فينا ، فليس هذا من الدين في شيء .

هذا وإني لأدعو كل إنسان إلى مطالعة هذه السيرة الطيبة فهي سراج للقلوب ونور للعقول وأخص السيدات بالذكر ليتخذنَ منها قدوة صالحة فهكذا تكون النساء .

***

أما أسلوب الكتاب فرصين متين قوي الديباجة مسبوك العبارة جزل الألفاظ ، وكأني به أحد شيوخ الأدب الأقدمين يرسل القول ارسالاً مستقيم الرأي سليم الفكر رفيع الأسلوب .

واني لآمل من الأستاذ المؤلف احمد الشرباصي وغيره من الباحثين أن يكثروا من نشر مثل هذه السير وإذاعتها في الناس فهي مجهولة لديهم غريبة عنهم ، ففيها الفائدة الجلّى والنفع الأعم

بغداد محمد فاتح توفيق

مدرس تطبيقات دار المعلمين ببغداد

موجز تاريخ الحروب والقرون

جزءان في ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير — ثمن كل جزء جنيه مصري واحد

أول ما يروع المطلع على تلك الموسوعة التاريخية التي قام بوضعها الأستاذ حنا أبي راشد الرحالة الشرقي المعروف ، ذلك الحشد الكبير لمواكب التاريخ منذ بدء التاريخ في إيجاز غير مخل ، وفي عرض شائق غير مملّ .

وقد جمع لموسوعته الفخمة من حوادث التاريخ ، ومن أحداث الزمن ، ومن آثار الأمم والشعوب المختلفة ، ومن أعمال الرجال ، ومن قصص البطولة ما يشهد له بسعة الاطلاع وبموفور المادة التاريخية والمعلومات الكثيرة التي يعيها في صدره ويختزنها في عقله ليسطرها بعد ذلك ويخرجها للقارىء صوراً تاريخية رائع المشاهد .

ولم يشأ أن يعرض هذه الحوادث والأحداث وتلك الآثار والأعمال وذكر البطولة والأمجاد عرضاً عادياً . ولكنه قسّم الزمن في موسوعته إلى قرون . فلملم في كل قرن أحداثه وحوادثه في كل مكان وكل بيئة وشعب . مما يجعل تاريخ كل قرن ميسّراً أمام القارىء يعرف منه ما حدث هنا أو هناك في آن واحد . وهي ميزةٌ لا ينكر أثرها في تسهيل إدراك البغية للباحث ، وفي تبسيط التاريخ للمطلع .

وقد انطوى الجزء الأول من تلك الموسوعة على أبرز الحوادث منذ بدء التاريخ المعروف حتى القرن الثالث عشر الميلادي . أما الجزء الثاني فقد جمع بين دفتيه الحوادث منذ ختام القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر الميلادي ويليه الجزء الثالث — الذي لم يصدر بعد — ابتداءً من القرن التاسع عشر .

وقد حرص المؤلف على أن يختم باب كل قرن بملخص يذكر فيه أهمّ الحوادث التي وقعت خلال ذلك القرن بعد أن يكون قد عرض لهذه الحوادث خلال الكلام عنها . ثم زيّن صفحات الكتاب بكثير من الرسوم التي ترتبط ببعض ذلك السرد التاريخي من رسوم لأعلام وأبطال أو مشاهد وآثار مما يزيد في فائدة الكتاب .

ولكن هناك هنات وقعت خلال الطبع نرجو أن يوفق المؤلف الى تلافيها في الأجزاء الباقية وعند إعادة الطبع ليكون لهذه الموسوعة قيمتها من كل وجهة ولا تستتبع الخطأ الحرفي خطأً في الأرقام التي تفسد من القيمة التاريخية للكتاب .

الحرب العالمية الثانية شعراً ونثراً

للاستاذ اسكندر الخوري البيتجالي : ١٠٧ صفحات (دار احياء الكتب العربية بالقاهرة

تناول الشاعر الفلسطيني المعروف الأستاذ اسكندر الخوري حوادث الحرب العالمية الثانية في ملحمة شعرية بلغت أبياتها (٢٦٣) بيتاً شرع في نظمها منذ لعلعت الرصاصة الأولى ... وفرغ منها حين خمدت نأمتها وطوح زبانيتها بأسلحتهم الفتاكة (ولو إلى حين...!) وفي هذه التحفة الشعرية تقيد الشاعر البيتجالي ببحر واحد وقافية واحدة ، وهو جهد عظيم بذله في نظم تلك الملحمة ، مدللاً بذلك على اتساع لغة (الضاد) لأي ضرب من ضروب الشعر ، أما مطلع الملحمة فهو :

« ناموا طوال لياليهم خليّينا   واستأمنوا الدهر لاشرًّا يظنونا »

وقد أوفى الشاعر النابه موضوعه النفيس الماتع بحواشٍ وشروح أضفاها على خريدته فجاءت مع الشعر العذب سجلاً للحقيقة وكتاباً يجمع بين الأدب والقومية والتاريخ والسياسة ،

وكان من إعجاب الشاعر النابغ الأستاذ علي محمود طه بتلك النفحة المقدسية المجنحة ان قدّم لها بتمهيد رائع موفق إستهله بقوله :

« ليس بدعاً ان تخرج لنا فلسطين أرض الدم المسكوب ، والحق المغصوب ، والصراع المشبوب ، شاعراً حكيماً مبيناً كالأستاذ اسكندر الخوري ، يؤرخ لنا هـذه الحرب العالمية الثانية ويقف من أحداثها وفواجعها موقف القاص المدقق والقاضي المحقق» ويشيد الأستاذ علي محمود طه بتوفيق شاعرنا الخوري كثيراً « في تطويع الأسماء الأعجميـة لموسيقيته » ويلاحظ القارىء ذلك من قول شاعر الملحمة :

« والروس ما عتموا أن قام قائمهم   وواصلوا زحفهم (برلين) يبغونا
غزوا (بدابسـت) في جيش تزعمه   جوكوف واستخلصوا (فينّا) مُجلينا»

ومن قوله مخاطباً حاضرة المانيا :

« لو كان (شلر) حيّـا ما مددت يدا   ولا حملت على أبناء (موشكينا) »

وكان جميلاً من الأستاذ الخوري ان يتلفت وهو صادر في تصوير مشاعره على القرطاس الى الشرق العربي وقضاياه الـكبرى فينادي بحقه ويهتف بالخير له ويتغنى بمثله العليا ويشيد ببطولة أبنائه وينعي على الحضارة الآلية هذه المذابح الحمر التي صبغت أديم الارض بلونها القاني وأغرقت الدنيا في لججها الطاغية وقذفت العالم في عواصف سعيرها المتقد .

وفي تلك الملحمة عرضٌ رائع للاحداث السياسية التي ألمّت بالمجموعة العربية ابان هذه الحرب الضروس فمن (جامعة الدول العربيـة) الى قضايا مصر وسورية ولبنان والعراق

وفلسطين ولم يفته الحديث عن مؤتمر سان فرنسيسكو قائلاً .

« ياطير (سان فرنسيسكو) على مهلٍ إحملْ لسانِ فرنسيسكو أمانينا
هنىء دُعاةَ فرنسيسكو وقلْ لهمُ « إنا محيوك ياسُلمى لحيينّا » !
قلْ للوفود مقال الصدق هل ذكروا بنود (ولسنَ) هل هم غيرُ ناسينا !
بغيرها لا سلاماً ينشدون ولا صلحاً به الأمنَ يوماً يستعيدونا

والواقع ان في ملحمة الشاعر المنتج كتابين ماتعين كما يقول الاستاذ طه : يظفر منهما عشاق الأدب الرفيع بنصيب وافر ، ويرجع محبو التاريخ بقسط مليء زاخر ! » ونلاحظ على الاستاذ الخوري تخلصه البارع عندما ينهي ملحمته بأبيات يرحب فيها بدنيا السلام ومن ذلك قوله :

أهلاً بدنيا سلام لاح بارقها وذرّ شارقها للخير يهدينا
دنيا سلام على الأخلاق قائمة (لا ، لا) على نزوات المستبدينا

ولئن قدر للحرب العالمية الأولى أن ينظم وقائعها شعراً الكاتب العربي الجبار الشاعر الناثر المرحوم أسعد خليل داغر فان تاريخ الحرب العالمية الثانية حظي بشاعر غمس ريشته بحبر الخلود فجاءت ملحمته الطريفة من طراز عال يفوق كل وصف وتصوير !

(بيت المقدس) البروى الملثم

كرم على درب

تأليف ميخائيل نعيمه ، صفحاته ١٠٤ من القطع الوسط ، طبع بمطبعة المعارف بمصر

هذا اسم كتاب أصدرته دار المعارف في القاهرة مطبوعاً طبعاً أنيقاً وقد ضمّ بين دفتيه مجموعة كبيرة من الشذور والأمثال والحكم المهذبة للنفوس من نتاج عبقرية الاستاذ ميخائيل نعيمة وانبثاق نور بصيرته ومن ثمار ما وعاه صدره من معلومات وما عاناه من تجارب واختبارات وما بلاه من طبائع الناس وجميع هذه الأمثال تسمو الى الذروة في دقة تصويرها وبلاغة عبارتها . وقال في صدرها : « كرمي على درب فيه العنب وفيه الحصرم فلا تلمني يا عابر السبيل إن أنت أكلت منه فضرست »

يقصد بذلك أن في بعض هذه الأمثال والإشارات ما يطابق صفات بعض الناس فلا تروق لهم قراءته لأنه يظهرهم على عيوبهم ويريهم عواقب هذه العيوب . وفيها حكم يقرأها غيرهم فيرتاحون إليها ويرون فيها ما يشجعهم على مواصلة الاخذ بأسباب الفضيلة والشرف والحب والايثار . وكتاب كهذا جديرٌ بأن تزدان به مكتبة كل فرد فانه كتاب الحياة في صميمها . فنثني على فضل مؤلفه وعلى فضل دار المعارف في طبعه ونشره .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد التاسع بعد المئة

لحق